

تَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ الْمَفِيدِ

للامام تقى الدين أحمد بن على المقرئ

المتوفى سنة ٨٥٤ هجرية

علاق عليه وصحح أصوله الأستاذ

طه محمد الزبي

من علماء الأزهر

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين .

(وبعد) فهذا الكتاب ، تجريد التوحيد المفيد ، من أنفس الكتب في تخليص التوحيد مما شابه من البدع والخرافات التي قد تذهب بأصل التوحيد وتؤدي بالمبتدع إلى الكفر أو إلى عدم كمال توحيده لله جل وعز ، ومعنى تجريد التوحيد ، تخليص التوحيد وجعله مجردا عما يشوبه من عوامل الإشراف في محبة الله وربوبيته ، وقد أفصح الشيخ المقرئ عن كل ما يهيم المسلم من أمر التوحيد وبين الطريق المستقيم التي ينبغي أن يسلكها الموحّد وتعرض للشبه الكثيرة التي تجول بأذهان الناس وتفسد عليهم أمر دينهم ، وبين كثيراً من أفعال الناس المنافية للحق والتي جرّم إليها اتباع أهوائهم من محاولة تشبيه الخالق بالمخلوق والتقرب إليه ببعض خلقه من الأحياء والاموات ، وذكر كثيراً من مذاهب الفرق الإسلامية التي اختلط عليها النهج القويم في الدين وبين مبعث ضلالها ، وفساد اعتقادها وعملها ، ورسم المحجة الواضحة وبين معالمها وأوضح للسالك فيها منعطفاتها ، وأضاء ظلماتها بالدليل الملزم والبرهان الساطع ، ومع أنه عاش قبل زماننا بنحو خمس مائة سنة فكانه يعيش بين ظهرانينا ،

فهو يسرد أقوال المبتدعين في زمانه فإذا هي مطابقة لأقوال الجبهة والمخرفين وعباد الخاق وأحلاس القبور في زماننا ، مما يظهر أن الفساد قديم ، وأن الداء قد دخل جسم الأمة الإسلامية وأخذت ميكروباته تنهش فيه حتى استفحل وعز دواؤه ، وأعتقد أن سبب استشراء هذا الداء عدم انتفات الحكومات الإسلامية إليه وانصرافها إلى أمور السياسية وانغماسها في الدنيا ، حتى إن بعض الحكومات شجعت اختلاف رعاياها ونصرت بعض طوائفها على بعض وهي تعلم أنها تنصر الباطل وتحارب الحق ، فضلت وأضلت وابتعدت عن الله وجانبت سبيله ، ولا يمكن علاج هذا الأمر إلا برجوع الحكومات الإسلامية إلى الصواب والضرب على أيدي المبتدعين والمخرفين والمتكسبين بالدين ، فالناس على دين ملوكهم ورؤسائهم وقد قال الرسول ﷺ : إن الله يزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن ، فلا بد من الاحتكام إلى القرآن والحديث ورد كل شيء إلى الله ورسوله كما قال تعالى : فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، .

فيجب الوقوف عند حدود الله ، واتباع سنة رسول الله حتى تستعيد الأمة الإسلامية مجدها ، وتعود إلى سابق عهدها نسأل الله أن يوفقنا إلى الاتباع وأن يجنبنا الابتداع وأن يوفق حكامنا إلى ما يحبه ويرضاه إنه سميع الدعاء ؟

له الزيني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين • والعاقبة للمتقين • وصلى الله على نبينا محمد
خاتم النبيين • وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فهذا كتاب جَمَّ الفوائد بديع الفرائد ينتفع به من أراد
الله والدار الآخرة سمَّيته تجريد التوحيد المفيد والله أسأل العون
على العمل به بمنه ،

إعلم أن الله سبحانه هو رب كل شيء ومالكة وإلهه : فالرب (١)

(١) يطلق الرب على السيد وعلى مالك الشيء وصاحبه ومصلحه ، والرب
د بال ، خاص بالله عز وجل ولا يطلق على غيره إلا نادرا وجمعه أرباب
وربوب ؛ ومن إطلاق الرب بمعنى السيد ما ورد في قوله تعالى على لسان
يوسف عليه السلام ، وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك ، أى
عند سيدك وهو الملك ، ومن إطلاقه بمعنى المالك للشيء وصاحبه ، ما ورد على
لسان عبد المطلب بن هاشم جد الرسول ﷺ في قوله لأبرمة صاحب الفيل
د أما الإبل فأنا ربها وأما البيت فله رب يحميه ، أى أنا مالك الإبل والبيت
له صاحب يقدر على حمايته منكم ، ومن إطلاق الرب على الله عز وجل
ما ورد في قوله تعالى على لسان يوسف ، قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني
إليه ، . ويطلق الرب أيضا على المربي والمتكفل بمصالح الشخص ، ويقال

مصدر ربَّ يَرْبُّ رَبًّا فهو رابٌّ : فمعنى قوله تعالى (ربَّ العالمين)
رابَّ العالمين فان الرب سبحانه وتعالى هو الخالق الموجد لعباده القائم
بتربيتهم وإصلاحهم المتكفل بصلاحهم من خلق ورزق وعافية
وإصلاح دين ودنيا . والإلهية ^(١) كون العباد يتخذونه سبحانه محبوباً
مألوهاً ويفردونه بالحب والخوف والرجاء والاختبات ^(٢) والتوبة
والنذر ^(٣) والطاعة والطالب والتوكل ^(٤) ونحو هذه الأشياء فان التوحيد

ربَّ الصبي أى رباه حتى أدرك مثل ربِّته ، وقد بين الشيخ نقى الدين صاحب
هذا الكتاب معنى التربية والتكفل بالمصالح بالنسبة لله سبحانه وتعالى .
(١) يقال ألله إلهة وألوهة وألوهية بمعنى عبد عبادة ، ومن ذلك لفظ
الجلالة وهو الله أصله إله بوزن كتاب بمعنى مألوه أى معبود .

(٢) الاختبات الخضوع لله وتسليم الأمر إليه .

(٣) النذر هو التزام فعل القربات وهو خاص بالله تعالى لا يجوز النذر
لغيره ، فلا يجوز أن تقول لفلان على ذبح خروف للفقراء أو صيام يوم
أو أيام ، أو حج بيت الله أو التصدق بكذا من النقود ، وإنما ذلك خاص
بالله تعالى ، فتقول لله على كذا وكذا ومن الجهل بالدين المؤدى إلى الكفر
إذا كان قائله يعتقد أن ما يقول هو الدين ، قول العوام في هذه الأيام نذر
على ياسيدى يابدوى إن شفى الله مريضى أو إن كسبت القضية أو إن قضيت
حاجتى أن أزورك وأذبح عندك عجلاً أو خروفاً أو أرزق على جلساء
مسجدك كذا وكذا من النقود أو الأشياء النافعة ، فيجب أن يمتنع
الناس عن ذلك ويجعلوا النذر لله فقط ، فيقول القائل لله على كذا وكذا
خالصاً لوجهه دون غيره .

(٤) يجب أن يكون التوكل وهو الاعتماد في تحقيق الأمور على الله
وحده ومن الجهل ما يقوله الناس في هذه الأيام مثل ، أنا معتمد على

حقيقته أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى وهذا المقام يشمر التوكل وترك شكاية ^(١) الخلق وترك لومهم والرضا عن الله تعالى والتسليم لحكمه :

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه تعالى لعباده والتأله من عباده له سبحانه كما أن الرحمة هي الوصلة بينهم وبينه عز وجل . واعلم أن أنفس الأعمال وأجلها قدراً توحيد الله تعالى غير أن التوحيد له قشران ^(٢) . الأول أن تقول بلسانك لا إله إلا الله ويسمى هذا

الله وعليك ، وأنا معتمد عليك بعد الله ، فيجب أن يكون الاعتماد على الله فقط .

(١) يريد الشيخ بترك الشكاية ترك ما يقوله قليل الرزق مثلاً من أنه يستحق الاتساع في الرزق لأنه صافي الضمير يحب الخير للناس ولا يفعل إلا الخير ، فالله أعلم به وبما يستحق ، وهذا اعتراض على فعل الله ولوم له على تدبيره ولا يليق بالماؤمن الحق ، بل يجب عليه التسليم والرضى كل الرضى بما قدر الله وقسمه ، ولكن عليه أن يأخذ في الأسباب التي توسع رزقه وتقضى مصالحه سواء جاءت بنتيجة أو لم تأت ، ولا بأس بالعمل والدأب والاجتهاد ، ولا يعترض بعد ذلك على المقادير .

(٢) القشر هو ما ينطلي اللباب ، ففي الفاكهة مثلاً القشر يغطي الثمرة والقشر قليل الفائدة والثمرة هي كل المطلوب ، فشبّه الشيخ المقزيرى قول لا إله إلا الله ، وموافقة القلب على هذا القول . بالقشر قليل الفائدة بالنسبة إلى لب التوحيد ، وشبه رؤية الأمور كلها من الله وعدم الالتفات إلى غيره والإقرار له بالعبادة ، بالثمرة . وهو تشبيه جميل أظهر المعنى الذي أراده غاية الظهور .

القول توحيداً وهو مناقض للثلاث الذي تعتقده النصارى وهذا التوحيد يصدر أيضاً من المناق الذي يخالف سره جهره والقشر الثاني أن لا يكون في القاب مخالفة ولا إنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به وهذا هو توحيد عامة الناس ولباب التوحيد أن يرى الأمور كلها لله تعالى ثم يقطع الالتفات إلى الوسائط وأن يعبد سبحانه عبادة يفرد بها ولا يعبد غيره : ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده : قال الله تعالى (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) وإذا تأملت عرفت أن عابد الصنم لم يعبد إنما عبد هواه وهو ميل نفسه إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل : وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى : ويخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق والالتفات إليهم فإن من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره أو يأمل سواه : وهذا التوحيد مقام الصديقين ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم وخالق السموات والأرض والقائم بمصالح العالم كله وإنما أنكروا توحيد الإلهية (١) والمحبة كما قد حكى الله تعالى عنهم في قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) فلما سواوا غيره به في هذا التوحيد كانوا مشركين

(١) أى إفراذه بالعبادة والحب والخوف والرجاء والنذر والتوكل وغير ذلك مما تقدم .

كما قال الله تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ^(١)) وقد علم الله
سبحانه وتعالى عباده كيفية مباينة الشرك في توحيد الالهية وانه تعالى
حقيق بإفراده وليا ^(٢) وحكما ورعا فقال تعالى (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُوا لِيَا)
وقال (أَغَيْرَ اللَّهِ ابْتَغِي حِكْمًا) وقال (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبِغِي رَبًّا) فلا
ولى ولا حكم ولا رب إلا الله الذى من عدل به غيره فقد أشرك في
ألوهيته ولو وحد ربوبيته فتوحيد الربوبية هو الذى اجتمعت فيه
الخلايق مؤمنها وكافرها وتوحيد الالهية مفرق الطرق بين المؤمنين
والمشركين ولهذا كانت كلمة الإسلام لا إله إلا الله ولو قال لارب إلا
الله اجزأه عند المحققين ه فتوحيد الألوهية هو المطلوب من العباد
ولهذا كان أصل الله الإله كما هو قول سيئويه وهو الصحيح وهو قول
جمهور أصحابه إلا من شذ منهم :

وبهذا الاعتبار الذى قررنا به الإله وأنه المحبوب لاجتماع صفات
الكمال فيه كان الله هو الاسم الجامع لجميع معانى الأسماء الحسنى والصفات
العليا وهو الذى ينكره المشركون ويحتج الرب سبحانه وتعالى عليهم
بتوحيدهم ربوبيته على توحيد ألوهيته كما قال الله تعالى (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

(١) أى يسرون غير ربهم برهم فى قصده فى الأمور وحبه .

(٢) أى يتولاه الناس فى أمورهم كلها ويحسبونه فى شئونهم وفيما
شجر بينهم ، ويعتقدون أنه خالقهم ورازقهم وجالب الخير لهم ومانع
الضرر عنهم .

وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آلَ اللَّهِ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ
بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا إِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ)
وكما ذكر تعالى من آياته جملة من الجمل قال عقيبها إله مع الله فإبان
سبحانه وتعالى بذلك أن المشركين إنما كانوا يتوقفون في إثبات توحيد
الإلهية لا الربوبية، على أن منهم من اشرك في الربوبية كما يأتي بعد ذلك
إن شاء الله تعالى : وبالجملة فهو تعالى محتج على منكري الإلهية بإثباتهم
الربوبية : والمملك هو الأمر الناهي الذي لا يخلق خلقاً بمقتضى ربوبيته
ويتركهم سدى معطلين لا يؤمرون ولا ينهون ولا يشابون ولا يعاقبون
فإن المملك هو الأمر الناهي المعطى المانع الضار النافع المتيب المعاقب
ولذلك جاءت الاستعاذة في سورة الناس وسورة الفلق بالأسماء الحسنى
الثلاثة الرب والمملك والإله ، فانه لما قال (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) كان
فيه إثبات أنه خالقهم وفاطرهم فبقى أن يقال ما خلقهم هل كلفهم
وأمرهم ونهائم قبل نعم فجاء (مَلِكِ النَّاسِ) فاثبت الخلق والأمر
الإله الخلق والأمر فلما قيل ذلك قيل فإذا كان رباً موجداً وملكاً مكلفاً
فهل يحب ويرغب إليه ويكون التوجه إليه غاية الخلق والأمر قيل
(إِلَهِ النَّاسِ) أى مالوهمهم ومحبوهم الذى لا يتوجه العبد المخلوق
المكلف العابد لإله فجاءت الإلهية خاتمة وغاية وما قبلها كالتوطئة لها
وهاتان السورتان أعظم عزّة (١) فى القرآن وجاءت الاستعاذة بهما

(١) يقال عاذ به يعوذ عوداً وعباداً بمعنى لاذ به ولجأ إليه واستجار به ،

وقت الحاجة إلى ذلك وهو حين سحر النبي ﷺ وخيل إليه أنه يفعل الشيء ﷺ وما فعله وأقام على ذلك أربعين يوماً كما في الصحيح (١)

ويقال استعاذ يستعين استعاذة أى طلب العوذ ، والعوذة مصدر عاذ يعوذ مراداً به المرة من اللجوء والاستجارة .

(١) هو في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ، سحر النبي ﷺ رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي دعا ودعائهم قال يا عائشة أشعرت أن الله أفناني فيما استفتيته فيه أنا في رجلان فقمعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل فقال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الأعصم قال في أي شيء قال ؟ في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال وأين هو قال في بئر ذروان فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه فجاء فقل يا عائشة كأن ماءها لقاعة الحناء أو كأن رؤوس نخلم رؤوس الشياطين قلت يا رسول الله أفلا استخرجته قال قد عافاني الله فسكرت أن أثير على الناس فيه شراً فأمر بها فدفنت ، هذا لفظ البخاري . والمطبوب ، الممرض وطبه أي أمرضه بسبب السحر ؛ والمشط آلة تسريح الشعر ، والمشاطة ما يتساقط من الشعر عند التسريح وطلع النخلة الذكر هو المسمى عند الناس في أيامنا هذا ، الذكر ، وقد جمع لبيد بن الأعصم هذه الأشياء وعقد عليها عقداً ، وعند كل عقدة يقول شيئاً من كلام السحر يريد أن يمرض الرسول ﷺ ، وفي زماننا هذا بقية من السحر ، يفرق به الساحر بين المرء وزوجه وبين الأخ وأخيه وهذا من الكهانة تجب محاربة من الناس ومن الحكومة حتى يبتعدوا عن شره ويأمن الناس في حياتهم . وقد اختلف العلماء في سحر النبي ﷺ قديماً وحديثاً فذهب الجمهور إلى جواز ذلك ووقوعه وأنه لا يخالف العصمة

فلا ينافي الحديث قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) لأن سحر النبي ﷺ كلن من جنس ما كان يعتريه ﷺ عليه وآله وسلم من الأسقام والأوجاع وهو مرض من الأمراض وإصابته به كإصابته بالسم لا فرق بينهما يدل له قوله ﷺ في آخر الحديث « قد عافاني الله » قال بن القيم في الهدى قال انقضى عياض والسحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه ﷺ أنواع الأمراض لما لا ينكر ولا يقدح في نبوته وأما كونه يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخل في شيء من صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وإنما هذا فيما يجوز طرده عليه في أمر دنياء التي لم يبعث لسببها ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد أنه يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان : فكان غاية هذا السحر فيه ﷺ إنما هو في جسده وظاهر جوارحه لا في عقله وقلبه ولذلك لم يكن يعتقد صحة ما يخيل إليه بل يعلم أنه خيال لا حقيقة له : ومثل هذا قد يحدث من بعض الأمراض : وقد ذهب طائفة من المتقدمين إلى أنه لا يجوز ذلك عليه ﷺ وإن هذا نقص في حقه ﷺ وعيب وهو ينافي قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) ومن المتأخرين الشيخ محمد عبده المصري وقد أطنب القول في رد سحر النبي ﷺ وتفيه في تفسيره جزء عم : وحاصل كلامه فيه : ولا يخفى أن تأثير السحر في نفسه عليه السلام حتى يصل به الأمر إلى أن يظن أنه يفعل شيئاً وهو لا يفعله ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الأمور العادية بل هو ماس بالعقل آخذ بالروح وهو ما يصدق قول المشركين فيه (ان تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) وليس المسحور عندهم إلا من خولط في عقله وخيل إليه أن شيئاً يقع وهو لا يقع فيخيل إليه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه : والذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم ﷺ فهو الذي

وكانت عقد السحر إحدى عشرة عقدة فانزل الله المعوذتين إحدى عشرة آية فانحلت بكل آية عقدة وتعلقت الاستعاذة في أوائل القرآن^(١)

يجب الاعتقاد بما يثبت به وعدم الاعتقاد بما ينفيه وقد جاء بنفي السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول بآثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه ووبخهم على زعمهم هذا فإذا هو ليس بمسحور قطماً : وأما الحديث فعلى فرض صحته آحاد والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد : وعصمة النبي ﷺ في تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون على أن الحديث الذي يصل إلينا من طريق الآحاد إنما يحصل الظن عند من صح عنه أما من قامت له الأدلة على أنه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجة : وعلى أي حال فلنا بل علينا أن نفرض الأمر في الحديث ولا نحكمه في عقيدتنا وناخذ بنص الكتاب وبدليل العقل فانه إذا خوطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عقله كما زعموا جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئاً وهو لم يبلغه وأن شيئاً نزل عليه ولم ينزل عليه والأمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان اه : والمسألة في ذاتها محل بحث وقد ترك كثير من المنتسبين إلى المذاهب الأخذ ببعض الأحاديث التي وردت في صحيح البخاري أو مسلم أو غيرهما لقول إمام لهم في المذاهب أو لمخالفتها القياس فإنا أولى لدفع شبه الملاحدين وغيرهم وموافقة للقرآن القطعي في ذلك : وإذا علمت هذا تعلم أن ما ذهب إليه المصنف هو قول الجمهور : والله أعلم .

(١) هو قول القاري . قبل قراءة القرآن : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وقد علم الله تعالى رسوله الاستعاذة بقوله : فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، فلم يقل فاستعذ بالرب ولا استعذ بملك الناس .

باسمه الاله وهو المعبود وحده لاجتماع صفات الكمال فيه ومناجاة العبد لهذا الاله الكامل ذى الاسماء الحسنی والصفات العليا المرغوب اليه في أن يعيذ (١) عبده الذي يناجيه بكلامه من الشيطان الخائل بينه وبين مناجاة ربه ثم استحب التعليق (٢) باسم الاله في جميع المواطن الذي يقال فيها (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) لأن اسم الله تعالى هو الغاية للأسماء ولهذا كان كل اسم بعده لا يتعرف إلا به فتقول الله هو السلام المؤمن المهيمن فالجلالة تعرف غيرها وغيرها لا يعرفها : والذين أشركوا به تعالى في الربوبية منهم من أثبت معه خالقا آخروا إن لم يقولوا إنه إله مكافئ له وهم المشركون ومن ضاهاهم من القدرية (٣) : وربوبيته سبحانه للعالم الربوبية الكاملة المطلقة الشاملة تبطل أقوالهم لأنها تقتضي ربوبيته (٤) لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والأفعال : وحقيقة قول القدرية المجوسية (٥) أنه تعالى ليس ربا لأفعال الحيوان (٦) ولا تتناولها ربوبيته إذ كيف يتناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيدته وخلقه .

(١) يحيره وينمعه من الشيطان .

(٢) التعليق . أى ربط الاستعاذة باسم الله في قوله تعالى « بالله » .

(٣) القدرية هم الذين يقولون إن العبد يخلق أفعال نفسه وهم قسم

من المعتزلة (٤) أى أنه خالق لجميع ما في العالم من الذوات الخ

(٥) هذا كناية عن أن المعتزلة مجوس هذه الأمة ، أى كالمجوس في

أشراكهم العبد لله في خلق أفعاله كما جعل المجوس إلهين للعالم أحدهما خالق للخير والآخر خالق للشر .

(٦) المراد بالحيوان الانسان وغيره بما فيه حياة وله أفعال .

وشرك الأمم كله نوعان شرك في الإلهية وشرك في الربوبية فالشرك في الإلهية والعبادة هو الغالب على أهل الإشراك وهو شرك عبادة الأصنام وعباد الملائكة وعباد الجن وعباد المشايخ (١) والصالحين الأحياء والأموات الذين قالوا (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) (٢) ويشفعوا لنا عنده وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكرامة كما هو المعمود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته : والكتب الإلهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وترده وتقبح أهله وتنص على أنهم أعداء الله تعالى وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم وما أهلك الله تعالى (من أهلك) من الأمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله : وأصله الشرك في محبة الله قال تعالى (يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) فأخبر سبحانه وتعالى أنه من أحب مع الله شيئا غيره كما يحبه فقد اتخذ ندا (٣) من دونه وهذا على أصح

(١) يريد الشيخ بعباد المشايخ والصالحين . الذين يعتقدون أن الأولياء ومن يدانهم في الصلاح يستطيعون أن يفعلوا للعباد شيئا فيتقربون إلى الله بسبب تقربهم إلى الصالحين سواء كانوا أحياء أو أمواتا .

(٢) الزلفى التقريب ، وهذا قول أهل الجاهلية من عبادة الأصنام وأصل الأصنام تماثيل لناس صالحين في الزمان الماضي ، اتخذها أهل الشرك تذكارا لهم يذكرونهم بأصحابها فصاروا يحجون إليها ويقدمون لها القرابين والهدايا واعتقدوا أنها تنفعهم وتضرهم على مدى الأيام .

(٣) الند هو النظير والمعاذل . وقد قال رسول الله ﷺ ما معناه إن من علامات المؤمن الخالص أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار .

القولين في الآية أنهم يحبونهم كما يحبون الله وهذا هو العدل المذكور في قوله تعالى (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ يَعْدِلُونَ) والمعنى على أصح القولين أنهم يعدلون به غيره في العبادة فيسبون بينه وبين غيره في الحب والعبادة : وكذلك قول المشركين في النار لأصنامهم (تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) ومعلوم قطعاً أن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربهم وخالقهم فافهم كانوا كما أخبر الله عنهم مقرين بأن الله تعالى وحده هو ربهم وخالقهم وأن الأرض ومن فيها لله وحده وأنه رب السموات السبع ورب العرش العظيم : وأنه سبحانه وتعالى هو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار^(١) عليه : وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله تعالى في المحبة والعبادة فمن أحب غير الله تعالى وخافه ورجاه وذل له كما يحب الله تعالى ويخافه ويرجوه : فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله فكيف بمن كان غير الله أثر عنده وأحب إليه وأخوف عنده وهو في مرضاته أشد سعياً منه في مرضاة الله فإذا كان المسوى بين الله وبين غيره في ذلك مشركاً فما الظن بهذا فعياً إذا بالله من أن ينسلخ القلب من التوحيد والإسلام كانسلاخ الحية من قشرها^(٢) وهو يظن أنه مسلم موحد فهذا أحد أنواع الشرك : والأدلة الدالة على أنه تعالى يجب أن يكون

(١) أى لا يقدر أحد أن يجير أحداً من الله إلا بإذنه بأن يقبل الله

شفاعته وذلك خاص بالرسول ﷺ .

(٢) قشر الحية هو جلدها والحية تبدل جلدها، فتخرج من الجلد القديم

عند تمام الجلد الجديد .

وحده هو المألوه يبطل هذا الشرك ويدحض حجج أهله وهي أكثر من أن يحيط بها إلا الله بل كل ما خلقه الله تعالى فهو آية شاهدة بتوحيده وكذلك كل ما أمر به فخلقه وأمره وما فطر عليه عباده وركبه فيهم من القوى شاهد بأنه الله الذى لا إله إلا هو وأن كل معبود سواه باطل وأنه هو الحق المبين تقديس وتعالى :

وواجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
ولله فى كل تحريك وتسكينة أبداً شاهد
وفى كل شيء له آية تدل على أنه واحد
والنوع الثانى من الشرك ، الشرك به تعالى فى الربوبية كشرك من جعل معه خالقا آخر كالمجوس وغيرهم الذين يقولون بأن للعالم ربين أحدهما خالق الخير يقولون له بلسان الفارسية يزدان (١) والآخر خالق الشر ويقولون له بلسانهم أهرمن : وكالفلاسفة ومن تبعهم الذين يقولون بأنه لم يصدر عنه إلا واحد بسيط وإن مصدر المخلوقات كلها عن العقول والنفوس وإن مصدر هذا العالم عن العقل (٢) الفعّال فهو رب كل ماتحتة ومدبره وهذا شر من شرك عباد الأصنام والمجوس والنصارى وهو أخبث شرك فى العالم إذ يتضمن من

(١) وقوله يزدان معناه الله : وقوله أهرمن أى الشيطان .

(٢) يقول الفلاسفة إن الله خلق عقولا عشرة أى خلق أشياء عشرة يسمى أولها العقل الأول والعقل الأول أثر فى غيره من العقول وهذه العقول العشرة تشمل أمور العالم كله خيرها وشرها وتؤثر فيها مع أنها ناشئة عن الله تعالى

التعطيل^(١) وجحد الالهية والربوبية واستناد الخلق إلى غيره سبحانه وتعالى ما لم يتضمنه شرك أمة من الأمم ؛ وشرك القدرية مختصر^(٢) من هذا وباب يدخل منه اليه ولهذا شبههم الصحابة رضى الله عنهم بالمجوس كما ثبت عن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم وقد روى أهل السنن فيهم ذلك مرفوعا أنهم مجوس هذه الأمة^(٣) وكثيرا ما يجتمع

(١) التعطيل : أى تعطيل صفات الله تعالى عن الاشتغال بالتأثير في المخلوقات على هذا المذهب لأن العقول هي التي تؤثر في العالم بعد خلقها فكان الله لا يفعل شيئا وصفاته باقية بدون عمل .

(٢) لأن العبد إذا خلق فعمله كانت قدرة الله في ذلك الوقت معطلة عن التأثير في أفعاله

(٣) لفظ رواية ابن عمر عند أبي داود وغيره ، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم ، قال الخطابي في شرح هذا الحديث في المعالم إنما جعلهم مجوسا لمضافاتهم مذهبهم مذاهب المجوس في قولهم بالأصلين وهما النور والظلمة يزعمون أن الخير من فعل النور والشر فعل الظلمة وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر لا يكون شئ منهما إلا بمشيئته وخلقه الشر شرافي الحكمة كخلق الخسير خيرا فإن الأمرين جميعا مضافان إليه خلقا وإيجادا وإلى الفاعلين لهما فعلا واكتسابا اه : وقال الحافظ المنذرى هذا منقطع أبي حازم سلمة بن دينار لم يسمع من ابن عمر وقد روى هذا الحديث من طرق عن ابن عمر ليس منها شئ يثبت اه : وقد تعقبه الحافظ ابن حجر وقال هذا الحديث حسنه الترمذى ومعه الحاكم ورجاله من رجال الصحيح : والله أعلم .

الشركان في العبد وينفرد أحدهما عن الآخر والقرآن الكريم بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها مصرحة بالرد على أهل هذا الإشراك كقوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) فانه ينفي (٢) شرك المحبة والالهية وقوله (وَأِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فانه ينفي شرك الخلق والربوبية : فتضمنت هذه الآية تجريد (٤) التوحيد لرب العالمين في العبادة وانه لا يجوز إشراك غيره معه لافي الأفعال ولا في الألفاظ ولا في الإرادات فالشرك به في الأفعال كالسجود لغيره سبحانه وتعالى : والطواف بغير بيته المحرم : وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمينه في الأرض وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها (٥) وقد لعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من اتخذ

(٢) انما استفيد نفي الإشراك بالله من قوله تعالى إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، لأن تقديم المفعول وهو إِيَّاكَ على الفعل يفيد الحصر . أى نعبدك وحدك ولا نعبد غيرك كما تنادى أحد الناس فيفهم أن النداء لغيره فتقول له إِيَّاكَ ناديت ، أى ناديتك أنت لا غيرك .

(٣) كذلك نستفيد تخصيص الاستعانة بالله من تقديم المفعول وهو إِيَّاكَ

(٤) تخليصه من شائبة توحيد غيره .

(٥) أخرج أبو نعيم في الحلية من حديث فضيل بن عياض قال سمعت

عبد الملك بن جريج يقول حدثني عطاء بن ابن عباس رضى الله عنهما

قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا توضع النواصي الا

لله تعالى في حج أو عمرة فاسوى ذلك فمثلة ، قال أبو نعيم غريب من حديث

الفضيل لم نكتبه الا من هذا الوجه والنواصي جمع ناصية وهي مقدم

الرأس والمراد بوضعها السجود ، والمثلة الشناعة والفظاعة :

قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مَسَاجِدَ فَكَيْفَ مِنْ اتَّخَذَ الْقُبُورَ أَوْثَانًا^(١) تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يَحْذَرُ مَا صَنَعُوا^(٢) ، وَفِيهِ عَنْهُ أَيْضًا : إِنْ مِنْ شَرَّارِ النَّاسِ مَنْ تَدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ^(٣) ، وَفِيهِ أَيْضًا عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : إِنْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِلَّا فَلَا تَتَّخَذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنَّهَا كُمْ عَنْ ذَلِكَ ، وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَصَحِيحِ ابْنِ حَبَّانَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : لَعَنَ اللَّهُ زَوَارَاتِ^(٤) الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسَّرَجَ^(٥) ، وَقَالَ : اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، وَقَالَ : إِنْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصُورُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ أَوْلَتْكَ شَرَّارَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ^(٦) ، وَالنَّاسُ فِي هَذَا

(١) الْأَوْثَانُ كَالْأَصْنَامِ إِلَّا أَنَّ الصَّنَمَ تَمُكُونُ لَهُ هَيْئَةٌ كَهَيْئَةِ النَّاسِ أَوْ الْحَيَوَانَاتِ وَالْوُثْنُ كُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَيْسَتْ هَيْئَتُهُ كَاهَيْئَةِ السَّابِقَةِ (٢) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي مُسْنَدِهِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ .

(٣) رَوَاهُ أَيْضًا أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

(٤) زَوَارَاتُ جَمْعُ زَوَارَةٍ وَهِيَ الْمُرَاةُ كَثِيرَةُ الزِّيَارَةِ لِلْقُبُورِ .

(٥) وَالسَّرَجُ جَمْعُ سَرَاجٍ كَالشَّمْعِ وَالْقَنَادِيلُ وَالْمَصَابِيحُ السَّكْرِبَائِيَّةُ مِثْلُهَا وَهِيَ زِمَاتُنَا هَذَا وَقِيلَ .

(٦) الْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

الباب أعنى زيارة القبور على ثلاثة أقسام . قوم يزورون الموتى فيدعون لهم^(١) وهذه الزيارة الشرعية : وقوم يزورونهم يدعون بهم^(٢) فهؤلاء هم المشركون في الألوهية^(٣) والمحبة . وقوم يزورونهم فيدعونهم^(٤) أنفسهم وقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، وهؤلاء هم المشركون في الربوبية وقد حى النبي ﷺ جانب التوحيد أعظم حماية تحقيقاً لقوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) حتى نهي عن الصلاة في هذين الوقتين^(٥) لكونه ذريعة إلى التشبيه بعبادة الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين : وسد الذريعة بأن منع من الصلاة بعد العصر^(٦) والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتتين الذين

(١) السنة عند زيارة القبور أن يقول الزائر السلام عليكم أنتم السابقون ونحن اللاحقون ويدعو للبيت بالخير فيقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه اللهم تجاوز عن سيئاته وزد في حسناته ومثل ذلك

(٢) أى يتوسلون بهم في الداء كقولهم اللهم بحق هذا البطل أو بكرامة هذا الولي أو الشيخ افعل لى كذا وكذا .

(٣) لأنهم يتخذون وسيطاً لله ويحبون غيره ويعتقدون أن غير الله دخلاً في فعل الله . (٤) كمن يقول من جهة المسلمين في هذا الزمان ياسيدى ابراهيم يادسوقى أنا محسوب عليك اشف لى مريضى أو اقض لى حاجتى ، أو ياسيدى يابدرى ، كيف تسكت على من ظلمنى إنك تعلم ظلمه لى ، فاقصف عمره أو فأثبتته فى مكانه لا يتحرك وهذا أخبت الشرك وأدله على الجهل الفاضح والبعد عن حظيرة الاسلام

(٥) المراد بالوقتتين ، وقت طلوع الشمس ووقت غروبها . حتى لانكون العبادة مشوبة بتعظيم الشمس عند طلوعها وغروبها ، كما يفعل عبادة ما (٦) الصلاة التى تحرم عند الشروق والغروب وبعد الصبح وبعد العصر

يسجد المشركون فيهما للشمس :

وأما السجود لغير الله فقد قال عليه الصلاة والسلام : لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد إلا لله . ولا ينبغي ^(١) في كلام الله ورسوله إنما يستعمل للذي هو في غاية الامتناع كقوله تعالى (وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) وقوله تعالى (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) وقوله تعالى (وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ) وقوله تعالى (مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ)

ومن الشرك بالله تعالى المبين لقوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره كما رواه الإمام أحمد وأبو داود عنه عليه السلام أنه قال : من حلف بغير الله فقد أشرك ^(٢) ، صححه الحاكم وابن حبان قال ابن حبان أخبرنا الحسن وسفيان ثنا عبد الله بن عمر الجعفي ثنا عبد الرحمن بن سليمان عن الحسن بن عبد الله النخعي عن سعيد بن عبيدة قال كنت عند ابن عمر رضي الله عنه لحلف رجل بالكعبة فقال

إلى غروب الشمس هي الصلاة التي لا سبب شرعي لها حتى لا يتوهم أن سببها هو تعظيم الشمس عند الشروق والغروب بسبب قرب هذين الوقتين من وقت طلوع الشمس ووقت غروبها أما الصلاة التي لها سبب كالقائنة والضحية المسجد وسنة الوضوء وغير ذلك فلا تحرم بل نجب في القائنة وآسن في غيرها ^(١) قوله لا ينبغي مبتدأ خبره قوله إنما يستعمل .

^(٢) معنى الشرك هنا أن الحالف بغير الله قد جعل لله شريكا في التعظيم لأن الحلف بالشئ يقتضي تعظيمه عظمة تشبه عظمة الله لأن الحلف خاص بالله وقد قال رسول الله ﷺ (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) أي ليسكت فلا يحلف مطلقا .

ابن عمر رضي الله عنه ويحك لا تفعل فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : من حلف بغير الله فقد أشرك ، هـ ومن الاشرار قول القائل لاحد من الناس ماشاء الله وشئت كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل ماشاء الله وشئت فقال أجعلتنى لله ندأ قل ماشاء الله وحده ، هذا مع أن الله تعالى قد أثبت للعبد مشيئة كقوله تعالى (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ) فكيف بمن يقول أنا متوكل على الله وعليك وأنا في حسب الله وحسبك وما لى الا الله وأنت : وهذا من الله ومنك وهذا من بركات الله وبركاتك : والله لى في السماء وأنت لى في الأرض (١) : وزن بين هذه الألفاظ الصادرة من غالب الناس اليوم وبين مانى عنه من ماشاء الله وشئت ثم انظر أيها أخش يتبين لك أن قائلها أولى بالبعد من (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) وبالجواب (٢) من النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة وأنه إذا كان قد جعل رسول الله ﷺ ندا فهذا قد جعل من لا يدانيه لله ندأ : وبالجملة فالعبادة المذكورة في قوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) هي السجود والتوكل والإقامة والتقوى والخشية والتوبة والنذور والحلف والتسبيح والتكبير والتلهيل (٣) والتحميد والاستغفار وحلق الرأس (٤) خضوعا وتعبدأ والدعاء ، كل ذلك محض حق الله تعالى هـ وفي مسند الإمام أحمد

(١) كأن الشيخ المقرئ يعيى بيننا فهذه الألفاظ كثيرة التداول على

الأسنة في هذه الأيام نعوذ بالله من شرها وشر قائلها

(٢) معطوف على قوله بالبعد يعنى أولى بالجواب الخ :

(٣) التلهيل والتحميد هو قول الحمد لله ولا إله إلا الله

(٤) هذا من أعمال الحج ، ولم يأمرنا الله بحلق رؤوسنا تعبدأ إلا فيه

د أن رجلا أتى به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد أذنب ذنبا فلما وقف بين يديه قال اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال ﷺ عرف الحق لأهله ، وأخرجه الحاكم من حديث الحسن عن الأسود ابن سيرع وقال حديث صحيح : وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له وقل من ينجو منه فمن نوى بعمله غير وجه الله تعالى فلم يقيم بحقيقة قوله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) فان (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) هي الحنيفية ^(١) ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَإِنَّهُ يَاقِلُ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) فاستمسك بهذا الأصل وردما ^(٢) أخرجه المبتدعة والمشركون اليه تتحقق معنى الكلمة الالهية . فان قيل المشرك إنما قصد تعظيم جناب الله تعالى وأنه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية وإنما قصد تعظيمه وقال (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) وإنما أعبد هذه الوسائط لتقربني اليه وتدخل بي عليه فهو الغاية وهذه وسائط فلم كان هذا القدر موجبا لسخط الله تعالى وغضبه ومخلدا في النار وموجبا

(١) الحنيفية . معناها التزيهية وقد قال الله تعالى عن إبراهيم د إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ، أى منزها لله عن الشريك موحداً له

(٢) أى اعرض ما يعمل به أهل البدع على توحيد الله وإفراده بالعبادة المفهوم من قوله تعالى د إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، فإياك تجدد الفرق واضحا فكثير من أفعالهم وأقوالهم يؤدى إلى إشراك غير الله مع الله فى الإلهية

لسفك دماء أصحابه واستباحة حريمهم وأموالهم وهل يجوز في العقل أن يشرع الله تعالى لعباده التقرب إليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا إنما استفيد بالشرع فقط أم ذلك قبيح في الشرع والعقل يمنع أن تأتي به شريعة من الشرائع وما السر في كونه لا يغفر من بين الذنوب كما قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) قلنا الشرك شركان . شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله . وشرك في عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه وتعالى لا شريك له في ذاته ولا في صفاته : وأما الشرك الثاني فهو الذي فرغنا من الكلام فيه وأشرنا إليه الآن وسنشبع الكلام فيه إن شاء الله تعالى :

أما الشرك الأول^(١) فهو نوعان . أحدهما شرك التعطيل^(٢) وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون في قوله (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ^(٣)) وقال (يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ

- (١) الشرك الأول هو الشرك في ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله
- (٢) التعطيل معناه في كلام فرعون إنكار ذات الله ، والتعطيل يشمل إنكار الذات وإنكار الصفات والأفعال كتعطيل فرعون والدهريين الذين يقولون ما يهلكنا إلا الدهر ، والإقرار بوجودها مع عدم اشتغالها بشيء . أصلا كالفلاسفة أو مع اشتغالها ببعض الأشياء دون بعض كالفردية
- (٣) هذا استفهام إنكارى أى ابن هو رب العالمين ليس هناك شيء اسمه رب العالمين . بدليل قول فرعون في الآية التي بعد هذه عن موسى « وإني لأظنه كاذباً ،

إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَاذِبًا) والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقرباً بالخلق سبحانه وتعالى وصفاته ولا كنهه معطاله حق التوحيد :

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام أحدها تعطيل المصنوع عن صانعه : الثاني تعطيل الصانع عن كماله الثابت له : الثالث تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد : ومن هذا شرك أهل الوحدة ^(١) : ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدوم العالم وأبديته وأن الحوادث بأسرها مستندة إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها ويسمونهم العقول والنفوس : ومنه شرك معطلة الأسماء والصفات كالجهمية ^(٢) والقرامطة وغلاة المعتزلة . النوع

(١) هم القائلون بوحدة الوجود كبعض الفلاسفة الإسلاميين القائلين بأن العالم وما فيه جزء من ذات الله أو هو الإله ، حتى قال بعضهم : ما في الجبة إلا الله ،

(٢) الجهمية طائفة يخالفون أهل السنة في كثير من الأصول كسأله الرؤيا في الآخرة وإثبات الصفات ينسبون إلى جهم - بفتح فسكون وهو جهم بن صفوان من أهل الكوفة وقد عقد ابن ماجه في أوائل سفته باباً للرد عليهم وجهم من الجبرية الخالصة وهم القائلون بأن الانسان مجبور غير مخير فهو كالريشة في مهب الريح لا يملك من أمره شيئاً وعلى ذلك لا يعاقب على المعصية ولا يثاب على الطاعة ومن نحلته أنه لا يجوز أن يوصف البارئ تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضى تشبيهاً فتنى كونه حياً عالماً وأثبت كونه قادراً فاعلاً خالقاً لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل

الثاني شرك التمثيل وهو شرك من جعل معه الها آخر كالنصارى فى المسيح واليهود فى عزيز والمجوس القائلين بإسناد حوادث الخير الى النور وحوادث الشر الى الظلمة : وشرك القدريّة المجوسية مختصر منه وهؤلاء أكثر مشركى العالم وهم طوائف جمّة منهم من يعبد أجزاء (١) أرضية ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده أكبر الآلهة (٢) . ومنهم من يزعم أن الهه من جملة الآلهة : ومنهم من يزعم أنه اذا خصه بعبادته والتبتل اليه أقبل عليه واعتنى به : ومنهم من يزعم أن معبوده الأدنى (٣) يقربه الى الأعلى الفوقانى والفوقانى يقربه الى من هو فوقه حتى تقربه تلك الآلهة الى الله سبحانه وتعالى فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل :

والخلق . وقد ظهرت بدعته بترمد وقتله سالم بن أحوز المازنى بمرور فى آخر ملك بنى أمية : وأصل مقالة التعطيل للصفات والأسماء مأخوذ من تلامذة اليهود والمشرّكين وضلال الصابئين : وأول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة فى الاسلام الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت اليه : قيل إن الجعد أخذ مقالة بالتعطيل عن أبان بن سميان وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم اليهودى الساحر :

(١) كمن يعبد الجبال والأنهار والأشجار والحيوان كالبقر فى الهند والقط والعجل عند قدماء المصريين

(٢) كالشمس والقمر والنجوم

(٣) من الناس من يعبد آلهة عدة بعضها أعلى من بعض ، ويقرب ذلك إلى الذهن ما كان عند العرب فى الجاهليّة من أصنام كثيرة كان أكبرها وأعلاها الصنم هُبَل وكان بجوف الكعبة ومعه أصنام أخرى صغيرة وكان هبل الآله الأكبر وغيره من الأصنام آلهة صغيرة

فإذا عرفت هذه الطوائف وعرفت اشتداد نكير الرسول ﷺ
هلى من أشرك به تعالى فى الأفعال والأقوال والآراء كما تقدم
ذكره انفتح لك باب الجواب عن السؤال ، فنقول اعلم أن حقيقة
الشرك تشبيه الخالق بالمخلوق وتشبيه المخلوق بالخالق : أما الخالق فان
المشرك شبه المخلوق بالخالق فى خصائص الإلهية وهى التفرد بملك الضر
والنفع والعطاء والمنع فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالى
وسوى بين التراب ورب الأرباب فإى فجور وذنوب أعظم من هذا
واعلم أن من خصائص الإلهية الكمال المطابق من جميع الوجوه
الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب أن تكون العبادة
له وحده عقلاً وشرعاً وفطرة فمن جعل ذلك لغيره فقد شبه الغير بمن
لاشبيه له واشددة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر من كتب على نفسه
الرحمة انه لا يغفره أبداً ، ومن خصائص الإلهية والعبودية التى لا تقوم
إلا على ساق الحب والذل فمن أعطاهما لغيره فقد شبهه بالله سبحانه وتعالى
فى خالص حقه وقبح هذا مستقر فى العقول والفطر لكن لما غيرت
الشياطين فطراً أكثر الخلق واجتالهم^(١) عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا
بالله ما لم ينزل به سلطاناً^(٢) كما روى عن الله أعرف الخلق به وبخلقه
تعمسوا عن قبح الشرك حتى ظنوه حسناً ، ومن خصائص الإلهية
السجود فمن سجد لغيره فقد شبهه به : ومنها التوكل فمن توكل على غيره

(١) اجتالهم أى حوّلهم

(٢) السلطان الحجة والدليل وسميت بذلك لأنها تقهر الخصم على
التسليم بمقتضاها كما يقهر السلطان محكومته ويرغمه على التسليم بمطلوبه

فقد شبهه به . ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به : ومنها الحلف باسمه فمن حلف بغيره فقد شبهه به : ومنها الذبح له فمن ^(١) ذبح لغيره فقد شبهه به : ومنها حلق الرأس إلى غير ذلك :

هذا في جانب التشبيه وأما في جانب التشبيه فمن تعظم وتكبر ودعى الناس إلى إطرائه ^(٢) ورجائه ومخافته فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان ويجعله كالذر ^(٣) تحت أقدام خلقه : وفي الصحيح عنه عليه السلام أنه قال : يقول الله عز وجل العظمة إزارى ^(٤) والكبرياء ردائى فمن نازعنى في واحد منهما عذبت به ^(٥) .

(١) الذبح لغير الله لا يكون حراما إلا إذا ذكر اسم غير الله على المذبح بأن قال الذابح باسم اللات أو باسم العزى أو باسم يزدان أو نحو ذلك أما إذا سكت ولم يذكر اسم غير الله فلا يكون ذلك ذبحا لغيره ويكون أكله حلالا

(٢) أى مدحه وتعظيمه

(٣) المراد بالذر التراب

(٤) الأزار ما يستر نصف الجسم السفلى والرداء ما يستر نصفه العلوى ، ومعنى ذلك فى حق الله تعالى أنه مشتمل بالعظمة والكبرياء مختص بهما لا يشاركه فيهما أحد

(٥) الحديث أخرجه مسلم من زواية أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة بلفظ : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يقول الله) العز إزاره والكبرياء ردائوه فمن ينازعنى عذبتى ، ورواه البرقاني فى مستخرجه عن الطريق الذى أخرجه مسلم ولفظه : يقول الله عز وجل العز إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى شيئا منهما عذبتى ، ورواه أيضا أبو دارد وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة بلفظ : قال رسول الله صلى الله عليه

وإذا كان المصور الذى يصنع الصور ^(١) بيده من أشد الناس عذاباً يوم القيامة لتشبهه بالله فى مجرد الصنعة فما الظن بالمشبه بالله فى الربوبية والإلهية كما قال صلى الله عليه وسلم : أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون يقال لهم احيوا ما خلقتم ^(٢) ، وفى الصحيح عنه صلى الله عليه

وآله وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار ، : ومعنى نازعنى تخلق بذلك فيصير فى معنى المشارك : قال الخطابي فى المعالم معنى هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه وتعالى اختص بهما لا يشركه أحد فيهما ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما لأن صفة المخلوق التواضع والتذال : وضرب الرداء والازار مثلاً فى ذلك يقول والله أعلم كما لا يشرك الانسان فى ردائه وازاره فكذلك لا يشركنى فى الكبرياء والعظمة مخلوق : والله أعلم

(١) الصور المحرمة هى صور ماله روح اذا كانت على هيئة يعيش بها أو كان القصد منها العبادة أو الزانى الى الله ، أو كانت سبيلاً الى الزانى والعبادة ولو بعد تقادم الزمان أما صور البحار والأنهار والأشجار والمناظر الطبيعية التى تدل على قدرة الله تعالى فليست حراماً بل ربما كان لصاحبها الشواب الجزيل اذا نوى بعمله اظهار قدرة الله تعالى وجميل صنعه

(٢) الحديث فى الصحيحين : عن عبد الله بن عمر قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ان أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون ، ورواه النسائي أيضاً : وهذه الرواية لا يرد عليها شيء : وفى رواية لمسلم : ان من أشد أهل النار يوم القيامة عذاباً المصورون ، وعليها يرد الاشكال النحوى من رفع اسم إن والجواب عنه : وفى الباب أحاديث كثيرة تفيد تحريم التصوير وعلة النهى ظاهرة :

وسلم أنه قال : يقول الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى
فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة ^(١) ، فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو
أعظم منهما : وكذلك من تشبه به تعالى في الاسم الذى لا ينبغي إلا له
ملك الملوك وحاكم الحكام وقاضى القضاة ونحوه وقد ثبت فى الصحيح
عن النبي ﷺ أنه قال : إن أخنع ^(٢) الأسماء عند الله رجل تسمى
بشاهان شاه ملك الملوك لا مالك إلا الله ، وفى لفظ : أغبط رجل
عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ^(٣) ، وبالجملة فالتشبيه ^(٤) والتشبه

وقوله أحبوا ما خلقتم أى اجعلوه حيوانا ذا روح وهذا الأمر يسمى أمر
تعجيز : ومعنى خلقتم قد رتم وصورتم :

(١) الحديث فى الصحيحين مطولاً عن أبى هريرة : وقوله : ومن أظلم ،
أى لا أحد أظلم ممن ذكر حال كونه يخلق أى يصنع : والذرة بفتح الذال
الممجمة وتشديد الراء التامة الصغيرة : والغرض تعجيزهم تارة بخلق الجساد
وأخرى بخلق الحيوان :

(٢) أخنع أفعل تفضيل من الخنوع وهو الخضوع والذلة ، أى إن أذل
اسم وأحقره عند الله شاهان شاه وملك الملوك ونحو ذلك

(٣) هو فى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم : قال أن أخنع اسم عند الله عز وجل رجل تسمى ملك الأملاك ،
زاد ابن أبى شعبة فى روايته : لا مالك إلا الله عز وجل ، قال الأشعثى قال
سفيان مثل شاهان شاه : وقال أحمد بن حنبل سألت أبا عمرو عن أخنع
فقال أوضع :

(٤) التشبيه . هو تشبيه الله تعالى بغيره باعتقاد أن غيره يقدر على فعل
شئ مما اختص به ، والتشبه . أن يشبه الشخص نفسه بالله فى بعض الصفات ،

هو حقيقة الشرك ولذلك كان من ظن أنه إذا تقرب إلى غيره بعبادة ما يقربه ذلك الغير إليه تعالى فإنه يخطيء لكونه شبيه به وأخذ ما لا ينبغي أن يكون إلا له فالشرك منه سبحانه وتعالى حقه فهذا قبيح عقلاً وشرعاً ولذلك لم يشرع ولم يغفر لفاعله .

واعلم أن الذي ظن أن الرب سبحانه وتعالى لا يسمع له أو لا يستجيب له إلا بواسطة تطلعه على ذلك أو تسأل ذلك منه فقد ظن بالله ظن السوء فإنه إن ظن أنه لا يعلم أو لا يسمع إلا بإعلام غيره له وإسماعه فلذلك نفي لعلم الله وسمعه وكال إدراكه وكفى بذلك ذنباً : وإن ظن أنه يسمع ويرى ولكن يحتاج إلى من يلبينه ويعطفه عليه فقد أساء الظن بأفضال ربه وبره وإحسانه وسعة جوده ، وبالجملة فاعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظن ولهذا يتوعدهم في كتابه على إساءة الظن به أعظم وعيد كما قال تعالى (الظَّانِّينَ ^(١)) بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَارُ السُّوءِ

كالكبرياء والعظمة والتسلط على الناس ، ونفعهم وضرهم لاظهار القدرة على النفع والضرر ، فهذا شرك لأن الكبرياء والعظمة والتسلط والنفع والضرر اختص بها الله جل جلاله

(١) أول هذه الآية (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين) الآية وقد كان المنافقون والمشركون يظنون بالله ظن السوء فيه يتقدون أن الله لن يحقق وعده لرسوله بنصره في الحرب ، وأن المسلمين سيهزمون وأن الرسول والمؤمنين ان يعودوا إلى أهلهم ، وقد ورد ذلك في سورة الأحزاب في قوله تعالى . . . وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ، وفي سورة الفتح أيضا وهي السورة التي وردت فيها الآية التي تتكلم فيها . في قوله تعالى . . . بل ظننتم أن لن ينقلب

وَوَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (وقال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام (أَنْفَكَ)^(١) آِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) أى فما ظنكم أن يجازيكم إذا عبدتم معه غيره وظننتم أنه يحتاج فى الاطلاع على ضرورات عباده لمن يكون باباً للحوائج اليه ونحو ذلك : وهذا بخلاف الملوك فانهم محتاجون إلى الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم عن إدراك حوائج المضطرين : فاما من لا يشغله سماع عن سماع وسبقت رحمته غضبه وكتب على نفسه الرحمة فمات صنع الوسائط عنده ، فمن اتخذ واسطة بينه وبين الله تعالى فقد ظن به أقبح الظن ومستحيل أن يشرعه لعباده بل ذلك يمتنع فى العقول والفطر :

الرسول والمؤمنون إلى أهلهم ابدا و زين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فاعتقاد المنافقين عدم تحقيق الله وعده وصف له بالنقص ، واعتقاد الشخص أن الله يحتاج إلى وساطة حتى يجيب الدعاء أو يحقق الرجاء وصف له بالنقص أيضا وكلاهما ظن السوء بالله ، وكل من اعتقد فى الله نقصا أو احتياجا إلى الغير حتى يرحم أو يعطى فقد ظن به ظن السوء

(١) هذه الآية وردت على لسان إبراهيم عليه السلام مخاطب قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام ، وقد وصف إبراهيم عليه السلام عبادة غير الله بأنها إلك أى كذب وضلال مبين ، ثم قال لقومه فما ظنكم برب العالمين ، استفهام توبيخى أى أتظنون بالله ظن السوء ، فتشركون به غيره لاعتقادكم أنه لا يجيب ما تطلبون من غير مساعد أو وسيط ؟

واعلم أن الخضوع والتأله الذى يجعله العبد لتلك الوسائط قيسح
 فى نفسه كما قررناه لاسبابها إذا كان المجعول له ذلك عبداً للملك العظيم
 الرحيم القريب المجيب وملوكا له كما قال تعالى (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ
 أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ
 فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) أى إذا كان أحدكم بأنف
 أن يكون ملوكه شريكه فى رزقه فكيف يجعلون لى من عبيدى شركاء
 فيما أنا منفرد به وهو الالهية التى لاتنبغى لغيرى ولا تصلح لسواى
 فمن زعم ذلك فما قدرنى حق قدرى ولا عظمى حق عظيمى ، وبالجملة
 لما قدر الله حق قدره من عبد معه من ظن أنه يوصل اليه قال تعالى
 (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا) الآية إلى أن قال (مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ
 اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) وقال تعالى (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ
 جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 عَمَّا يُشْرِكُونَ) فما قدر القوى العزيز حق قدره من أشرك معه
 الضعيف الذليل :

واعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال والبدع وجدت أصل
 ضلالهم راجعا إلى شيئين : أحدهما الظن بالله ظن السوء : ولم يقدرُوا
 الرب حق قدره فلم يقدره حق قدره من ظن أنه لم يرسل رسولا ولا
 (٣ - تجريد)

أنزل كتاباً بل ترك الخلق سدى وخلقهم عبثاً^(١) ولا قدره حق قدره من نفي^(٢) عموم قدرته وتعلقها بأفعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم وأخرجهما عن خلقه وقدرته ولا قدر الله حق قدره أضداد هؤلاء الذين قالوا إنه يعاقب عبده^(٣) على ما لم يفعله ، بل يعاقبه على فعله سبحانه وتعالى : وإذا استحال في العقول أن يجبر السيد عبده على فعل ثم يعاقبه عليه فكيف يصدر هذا من أعدل العادلين : وقول هؤلاء شر من أشباه المجوس القدرية الأذلين : ولا قدره حق قدره من نفي رحمته^(٤) ورضاه

(١) وهؤلاء هم الملاحدة الذين يعتقدون ألا رسل ولا كتب وأن الله اكتفى بخلق الخلق ، وسيعرفه من جاد عقله ، وينكره من أظلمت بصيرته ، ولم يرتب الله على ذلك شيئاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً
(٢) هؤلاء هو القدرية السابقون الذين يقولون إن العبد يخلق أفعال نفسه كلها أو يخلق الشر والله يخلق الخير .

(٣) هؤلاء هم الجبرية الذين يقولون إن العبد لا اختيار له وأنه كالريشة في مهب الريح ، يسيره الله كيف يشاء ، فالله هو الذى بوجهه إلى الخير وإلى الشر ، وكلاهما فعل الله والعبد لا فعل له ولا اختيار ، ويرتب على ذلك أن يعذب الله العبد على الشر وهو مجبور عليه ، وقد رد عليهم الشيخ المقرئ بقوله : بل يعاقبه على فعله ، الخ .

(٤) يريد الشيخ بهذا الصنف المؤولين الذين يؤولون صفات الله التي لا يليق مثلها في الحوادث بالإله كالرحمة والرضى والغضب والمحبة والعجب والضحك كما ورد في بعض الأحاديث أن الله يعجب من شاب لا صبوة له ويضحك الله من رجلين يقتتلان ثم يدخلان الجنة ونحو ذلك بما ورد من الصفات وله نظير في الحوادث وهذا النظر لا يليق بالله ، فقد أولوا هذه الصفات

ومحبته وغضبه وحكمته مطلقا^(١) وحقيقة فعله لم يجعل له فعلا اختياريا بل أفعاله منفعة عنه : ولا قدره حق قدره من جعل له صاحبة وولداً وجعله يحل^(٢) في مخلوقاته أو جعله عين^(٣) هذا الوجود : ولا قدره حق قدره من قال إنه رفع أعداء رسوله وأهل بيته^(٤) وجعل فيهم الملك ووضع^(٥) أولياء رسوله وأهل بيته وهذا يتضمن غاية القدح في

وجعلوا الرحمة والرضى والمحبة بمعنى النعيم والغضب والسخط بمعنى العذاب والعجب برفعة مكانة الشاب عند الله ، والضحك بمعنى التجلي عليهما وتنعيمهما ونحو ذلك ، وقد أراد الشيخ بنى هذه الصفات أن تأويلها ينفيها ويثبت بدلها صفات أخرى ومن يفعل ذلك لا يكون قدر الله حق قدره ، وإنما يجب لإثبات هذه الصفات واعتقاد أنها مخالفة لصفات الخلق .

(١) هؤلاء هم الفلاسفة القائلون إن الله خلق العقول العشرة وتركها تؤثر في الكون فكل ما يحدث في العالم مفعول لله بواسطة هذه العقول ، وهذا يؤدي إلى عدم الحكمة والاختيار لأن الحوادث والأفعال تصدر عن العقول صدوراً آلياً كما يقولون .

(٢) هؤلاء هم الحلوليون الذين يقولون إن الله يحل في بعض المخلوقات فينقلب المخلوق إلى الله وهو رأى باطل كلاحقه ، لأنه يقتضي أن الإنسان أو الشجرة التي يحل فيها الإله الله وهذا سخف لا يعقل .

(٣) هؤلاء أهل وحدة الوجود القائلون بأن العالم من ذات الإله فكل شيء منه يصدق عليه أنه الله كما سبق من قول بعض الفلاسفة ما في الجبة الإلهية (٤) هؤلاء هم الملحدين المنكرون لوجود الله . يقولون لو كان الله

موجوداً فكيف ينصر بنى أمية على علي وأهل البيت ، وهم قسم من غلاة الشيعة أدى بهم غلوهم في التشبيح إلى الكفر والاثم العظيم .

(٥) أي جعل مكانتهم وضيعتهم حقيرة

الرب تعالى الله عن قول الرافضة : وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى في قول رب العالمين إنه أرسل ملكا ظالما فادعى النبوة وكذب هلى الله ومكث زمنا طويلا يقول أمرنى بكذا ونهانى عن كذا ويستبيح دماء أبناء الله وأحبائه والرب تعالى يظهره ويؤيده ويقم الأدلة والمعجزات على صدقه ويقبل بقلوب الخلق وأجسادهم إليه ويقم دولته على الظهور والزيادة ويذل أعداءه أكثر من ثمان مائة عام : فوازن بين قول هؤلاء وقول إخوانهم من الرافضة تجد القوانين سواء : ولا قدره حق قدره من زعم أنه لا يحيى^(١) الموتى ولا يبعث من فى القبور ليين لعباده الذى كانوا فيه يختلفون وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين .

وبالجملة فهذا باب واسع والمقصود أن كل من عبد مع الله غيره فانما عبد شيطانا قال تعالى (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنَى آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) فما عبد أحد أحد من بنى آدم كائنا من كان إلا وقد وقعت عبادته للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود فى حصول غرضه ويستمتع المعبود بالعابد فى تعظيمه له وإشراكه مع الله تعالى وذلك غاية رضى الشيطان ولهذا قال تعالى (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَأْمُرُ الْجِنَّ^(٢) قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ)

(١) هؤلاء قسم من الملحدين يعتقدون أن الله خلق الخلق لبيان قدرته ولكنه لا يحييهم بعد موتهم ولا يحاسبهم اكْتِفَاءً بإظهار القدرة فى الدنيا .
(٢) الخطاب هنا لشياطين الجن وهم أعوان إبليس الذين يساعدونه فى إغواء الناس وتهيئة سبل الفساد لهم ، ومن الجن مسلمون صالحون يعبدون الله ويتعرضون لاغواء الجن الآخرين المفسدين كما يتعرض لاغواءهم مسلمو

أَيَّ مَنْ اغْوَاهُمْ وَإِضْلَاهُمْ (وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ (١) خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) فهذه إشارة لطيفة إلى السر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله وأنه لا يغفر بغير التوبة منه وأنه موجب للخلود في العذاب العظيم وأنه ليس تحريره قبضه بمجرد النهي عنه فقط بل يستحيل على الله سبحانه وتعالى أن يشرع لعباده عبادة إله غيره كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله .

واعلم أن الناس في عبادة الله تعالى والاستعانة به أقسام أجملها وأفضلها أهل العبادة والاستعانة بالله عليها : فعبادة الله غاية مرادهم : وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها نهاية مقصودهم ولهذا كان أفضل ما يسأل الرب تعالى الإعانة على مرضاته (٢) وهو الذي عليه

الانس فن أطاع الإغواء دخل في العصاة المستحقين للعذاب ومن عصمه الله نجا ودخل في الصالحين الذين يحزون الحسنات ، وقد بين الله تعالى ذلك في سورة الجن فقال على لسانهم : « وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرُّوا رَشَدًا وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ، وَالْقَاسِطُونَ الْجَائِرُونَ الْحَاذِرُونَ » الطريق المستقيم وقال تعالى في آية أخرى من سورة الجن أيضا على لسان الجن : « وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا طَرِيقَهُمْ قَدَدًا ، أَيَّ طَرِيقٍ مُخْتَلَفَةٍ مُتَشَعِبَةٍ .

(١) مثواكم أي مكان ثوائكم وإقامتكم الدائمة .

(٢) بامتنال الأوامر واجتناب النواهي والحب لطاعته والبغض لمعصيته .

النبي ﷺ لمعاذ بن جبل فقال : يا معاذ والله إنني أحبك فلا تدع أن تقول في دُبُرِ كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك (١) .
فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته تعالى : ويقابل هؤلاء القسم الثاني المعرضون عن عبادته والاستعانة به فلا عبادة لهم ولا استعانة بل إن سأله تعالى أحدهم واستعان به فعلى حظوظه وشهواته والله سبحانه وتعالى يسأله من في السموات والأرض ويسأله أولياؤه وأعداؤه فيمده هؤلاء وهؤلاء وأبغض خلق الله إبليس ومع هذا أجاب سؤاله (٢) وقضى حاجته ومتعته بها ولكن لما لم تكن عوناً على مرضاته كانت زيادة في شقوته وبعده : وهكذا كل من سأله تعالى واستعان به على ما لم يكن عوناً له على طاعته كان سؤاله مبعداً له عن الله فليتدبر العاقل هذا وليعلم أن إجابة الله لسؤال بعض السائلين ليست لكرامته عليه بل قد يسأله

وكان من دعاء الرسول ﷺ بعد التحيات : اللهم ارزقني من اليقين بك ما يهيبني في طاعتك ومن خشيتك ما يمنعني عن معصيتك ، ومن دعائه قبل قراءة الفاتحة : اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسلني بالماء والثلج والبرد ، يريد ﷺ بغسله بالماء وبالثلج وهو الماء الجامد والبرد وهو الماء المنعقد حبات صغيرة أن ينظفه تمام النظافة من المعاصي وقذارتها .

(١) خرجه أبو داود وأحمد بن حنبل ورواه النسائي بسند قوى على ما قاله ابن حجر في كتابه بلوغ المراد من أدلة الأحكام .

(٢) هو قوله : رب أنظرني إلى يوم يبعثون ، فقال الله تعالى له : فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ، فلما أجاب الله سؤاله قال : فبِعزتك لا أغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين .

عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه ويكون منعه منها حماية له (١)
وصيانة والمعصوم من عصمه الله والإنسان على نفسه بصيرة :

وعلمة هذا أنك ترى من صانه الله من ذلك وهو يجهل حقيقة
الأمر إذا رآه سبحانه وتعالى يقضى حوائج غيره يسمى ظنه به تعالى
وقلبه محشوب بذلك وهو لا يشعر : وأمارة ذلك حمله على الأقدار وعتابه
في الباطن لها ولقد كشف الله تعالى هذا المعنى غاية الكشف في قوله
تعالى (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي
أَكْرَمَنِي وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلَّا)
أى ليس كل من أعطيته ونعمته وخواتمه (٢) فقد أكرمه وما ذاك لكرامته
على ولكنه ابتلاء منى وامتحان له أيشكرنى فأعطيه فوق ذلك أم
يكفرن فأسلبه إياه وأحواله عنه لغيره وليس كل من ابتليته فضيقت
عليه رزقه وجعلته بقدر لا يفضل عنه فذاك من هو انه على ولكنه
ابتلاء وامتحان منى له أيصبر فأعطيه أضعاف ما فانه أم يسخط فيكون
حظة السخط : وبالجملة فأخبر تعالى أن الإكرام والإهانة لا يدوران على
المال وسعة الرزق وتقديره فانه سبحانه وتعالى يوسع على الكافر
للكرامته ويقتصر على المؤمن لاهوانه عليه وإنما يكرم سبحانه وتعالى
من يكرم من عباده بأن يوفقه لمعرفة ومحبته وعبادته واستعانتة : فغاية

(١) فلا يحزن العبد إذا لم يحبه الله تعالى إلى ما طلب لأنه عالم بكل شيء
حكيم فيما يعطى ويمنع ، بل يجب عليه الرضى بما قسمه الله له مع الإيقان بأن
الخير فيما اختاره الله (٢) معنى خواتمه أعطيته وقد ورد ذلك في قوله تعالى
وإذا مس الإنسان ضرر دعا ناسم إذا خولناه نعمتنا قال إنما أوتيته على
علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون ،

سعادة الأبد في عبادة الله والاستعانة به عليها :

القسم الثالث من له نوع عبادة بلا استعانة وهو لاء نوعان : أحدهما أهل القدر القائلون بأنه سبحانه وتعالى قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الإلطاف وأنه لم يبق في مقدوره إعانة على الفعل فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها وتعريف الطريق وإرسال الرسول وتمكينه من الفعل فلم يبق بعدها إعانة مقدورة يسأله إياها^(١) وهو لاء مخذولون موكلون إلى أنفسهم مسدود عليهم طريقة الاستعانة والتوحيد : قال ابن عباس رضي الله عنهما الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض توحيده : النوع الثاني من لهم عبادة وأوراد ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة^(٢) لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر وأنها بدون المقدور كالموت الذي لا تأثير له بل كالعدم الذي لا وجود له وأن القدر كالروح المحرك لها والمعول على المحرك الأول فلم تنفذ بصائرهم من السبب إلى المسبب ومن الآلة إلى الفاعل فقل نصيبهم من الاستعانة : وهو لاء لهم نصيب من التصرف بحسب

(١) يقول هؤلاء إن العبد يخلق أفعال نفسه من الطاعات والمعاصي وهي مخلوقة لله بواسطة إقدار العبد عليها لا مباشرة وعلى ذلك فقد ترك الله العبد بعد أن خلق فيه الآلات ووسائل الفعل وهياً له سبيله ، وهداه النجدين بإرسال الرسل فالعبد متروك لاختياره وكل فعل يصدر عنه ناشئ من ذاته وبقدرته فلا داعي للاستعانة به على العبادة وترك المعصية لأن الله قد أعانه على ذلك بما أقدره على العمل والترك .

(٢) أي أنهم يفعلون الطاعات ولا يفكرون في طلب عون الله لهم عليها لعدم ثبات قدمهم في التوحيد والتوكل .

استعانتهم وتوكلهم ونصيب من الضعف والخذلان بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه لأزاله :

فان قيل ما حقيقة الاستعانة عملاً : قلنا هي التي يعبر عنها بالتوكل ^(١) وهي حالة للقلب تنشأ عن معرفة الله تعالى وتفرده بالخلق والأمر والتدبير والضر والنفع وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فتوجب اعتماداً عليه وتفويضاً إليه وثقة به فتصير نسبة العبد إليه تعالى كنسبة الطفل إلى أبويه فيما ينوبه من رغبته ورهبته فلو دهمه ما عسى أن يدغمه من الآفات لم يلتمجىء إلى غيرهما : فان كان العبد مع هذا الاعتماد من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) أى كافيه .

القسم الرابع من له استعانة ^(٢) بلاعبادة وتلك حالة من شهد بتفرد

(١) وحقيقة التوكل هي أن يلجأ العبد في كل أموره صغيرها وكبيرها إلى الله كما يلجأ الطفل إلى أبويه في كل أموره كما سيأتى للعلامة المؤلف .

(٢) هذا هو المتوكل على الله في كل أموره المعتقد تفرده بالنفع والضر فيلجأ إليه في حظوظه الدنيوية حتى ما كان منها معصية . والسكنه لا يفعل الطاعات ، وهذا الصنف من الناس فقد عنصران من عناصر الإيمان وهو العمل لأن الإيمان قول باللسان وعمل بالجوارح واعتقاد بالقلب ، والعمل ركن مهم من أركان الإيمان من فقد فقد الثواب والنعم في الآخرة لأن الله تعالى جعل الثواب على عمل الطاعات ، ولذلك قال الشيخ المقرئ فذلك حظه من دنياه وآخرته .

الله بالضر والنفع ولم يدر بما يحبه ويرضاه فتوكل عليه في حظوظه فاسعفه بها : وهذا لا عاقبة له سواء كانت أموالا أو رياسات أو جاها عند الخلق أو نحو ذلك فذلك حظه من دنياه وآخرته :

واعلم أن العبد لا يكون متحققا بعبادة الله تعالى إلا بأصلين ، أحدهما متابعة الرسول ﷺ ، والثاني إخلاص العبودية : والناس في هذين الأصلين على أربعة أقسام : أهل الإخلاص والمتابعة فأعمالهم كلها لله وأقوالهم ومنعهم وإعطائهم وحبيهم وبغضهم كل ذلك لله تعالى لا يريدون من العباد جزاء ولا شكورا ، عدوا الناس كاصحاب القبور لا يملكون ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيانا ولا نشورا : فانه لا يعامل أحدا من الخلق إلا لجهله بالله وجهله بالخلق : والإخلاص هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل عملا صوابا عاريا منه وهو الذي الزم عباده به إلى الموت قال الله تعالى (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) وقال (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) وأحسن العمل إخلاصه وأصوبه . فالخلاص أن يكون لله والصواب أن يكون على وفق سنة رسول الله ﷺ وهذا هو العمل الحسن المذكور في قوله تعالى (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) وهو العمل الصالح في قوله تعالى (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) وهو الذي أمر به النبي ﷺ في قوله وكل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد ، ^(١) وكل عمل بلا متابعة فانه لا يزيد

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها بلفظ قالت

عامله إلا بعدا من الله تعالى فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره لا بالاهواء والآراء .

الضرب الثاني من لا إخلاص له ولا متعابعة ^(١) له وهؤلاء شرار الخلق وهم المنزینون بأعمال الخیر راؤون بها الناس وهذا الضرب یكثر فیمن انحرَف عن الصراط المستقیم من المنتسبین إلى الفقه والعلم والفقر والعبادة فانهم یرتكبون البدع والضلال والریاء والسمعة ویحبون أن یحمدوا بما لم یفعلوا : وفي أضراب هؤلاء نزل قوله تعالى (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يَحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد ، وفي رواية لمسلم : من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ، وأخرجه أيضا أبو داود وابن ماجه : وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام فكل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء . هذا منطوق الحديث ، ومفهومه كل عمل عليه أمره فهو غير مردود : والمراد بأمره ههنا دينه وشرعه : وفيه إشارة إلى أن أعمال العاملين كلهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة فتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها فمن كان عمله جاريا تحت أحكام الشريعة موافقا لها فهو مقبول ومن كان خارجا عن ذلك فهو مردود : والله أعلم .

(١) أي لا يخلص عمله لله ولا يتبع رسوله وإنما يتبع هواه فيبتدع ما يأتي على هواه رغبة في الشهرة وحسن السمعة في الدنيا أو لكسب المال والجاه والمراكز في الدولة وقد بين المواقف بعض هذا الصنف .

الضرب الثالث من هو مخلص في أعماله لكنهما على غير متابعة الأمر كجهال^(١) العباد والمنتسبين إلى الزهد والفقر وكل من عبد الله على غير مراده : والشأن ليس في عبادة الله فقط بل في عبادة الله كما أراد الله : ومنهم من يكثر في خلوانه تاركا للجمعة ويرى ذلك قرينة ويرى مواصلة صوم النهار والقيام بالليل قرينة وأن صيام يوم الفطر قرينة وأمثال ذلك .

الضرب الرابع من أعماله على متابعة الأمر لكنهما لغير الله تعالى كطاعات المرائين : وكالرجل يقاتل رياء وسمعة وحمية^(٢) وشجاعة

(١) هذا الصنف يخلص لله ولا يعمل إلا لوجهه ولكنه جاهل بالسنة غير فاهم لأحكام الدين فيتحرف عن الطريق المستقيم ويعتقد أن ذلك هو الدين ، ومن هذا الصنف في زماننا هذا من يتركون كثيرا من الصلوات ويقولون الله أعلم بالقلوب ، يظنون أن الدين إيمان بالقلب فقط ، ومن يزيدون في العبادة المسنونة اعتقادا بأن ذلك خير كمن يصلي بعد العصر نفلا مطلقا فإذا نهى عن ذلك ، قال وهل الصلاة مكروهة هذا خير والزيادة في الخير لا بأس بها ، ومن ذلك ما ذكر المؤلف من مواصلة الصيام وقيام الليل وترك حق البدن والزوجة وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك أبا سلبية رضي الله عنه وقال له : إن لبدنك عليك حقا ولزوجك عليك حقا ولربك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه ، ومن ذلك من يتركون أكل الطيبات التي أحلها الله حتى يضعفوا عن العبادة ، ويتركون التمتع بالنساء وهذا قد نهى الرسول ﷺ عن ذلك وقال مامعناه إنه هو أفضل الخلق وأولاهم بالزهد والعبادة ومع ذلك فهو يصوم ويفطر ويأتى النساء .

(٢) القتال للحمية أن يقاتل الرجل غيره على أهله أو وطنه أن يستبيحهما

وللغنم ، ويحج ليقال ويقرأ ليقال ويعلم ويؤنف ليقال (١) فهذه أعمال
صالحة لكنها غير مقبولة قال تعالى (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) فلم يؤمر الناس إلا بالعبادة على المتابعة
والإخلاص فيها : والقائم بهما هم أهل (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)
ثم أهل (٢) مقام (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) لهم في أفضل العبادة وأنفعها
وأحقها بالايثار والتخصيص أربعة طرق وهم في ذلك أربعة أصناف ،
الصنف الأول عندهم أنفع العبادات وأفضلها أشقها على النفوس وأصعبها
قالوا لأنه أبعد الأشياء من هواها وهو حقيقة التعبد والاجر على
قدر المشقة ورووا حديثا ليس له أصل : أفضل الاعمال أحمرها (٣) ،

الاعداء ، والقتال للشجاعة أن يقاتل ليقال إنه شجاع والقتال للغنم أن
يقاتل طمعا فيما يغممه ويكسبه من الاعداء ، ولا يريد بذلك وجه الله وهذا
لا فائدة له من قتاله إلا ما أراد ، ويوم القيامة يكله الله إلى غرضه ويقال له
كنت تقاتل ليقال فلان شجاع فقد قيل .

(١) أى ليقال فلان حج و فلان قرأ و فلان علم وأتف الخ فثواب فاعل
هذا ما قيل عنه في الدنيا وليس له في الآخرة شيء .

(٢) هم الذين أسلموا وجوههم إلى الله وأخلصوا له قلوبهم ، لا ينوكون
إلا عليه ولا يشركون معه غيره في الحب .

(٣) مثل ذلك ما يردده جهال الناس في هذه الأيام من قولهم : الثواب
على قدر المشقة ، ويتحملون في عبادتهم المشاق التي ليست مطلوبة في
العبادات ولم يأمر بها الله ، كأن يتجشموا المسير مسافات بعيدة ليصلوا في
مسجد بعيد ويجوارهم المساجد كثيرة ، أو يتجشموا مشاق الحج سيرا على

أى أصعبها وأشقها وهؤلاء هم أرباب المجاهدات والجور على النفوس قالوا وإنما تستقيم النفوس بذلك إذ طبعها الكسل والمهاونة والإخلاد إلى الراحة فلا تستقيم إلا بركوب الأهوال وتحمل المشاق ، الصنف الثانى قالوا أفضل العبادات وأنفعها التجرد والزهد فى الدنيا والتقلل

الأقدام وقد خلق الله السفن والسيارات والطائرات المريحة ومنهم من يعتمد الحج راكبا جملا ولا يركب السيارة لأن فى ركوب الجمل مشقة وأمثال ذلك كثيرة ، وهؤلاء وأهمون ، فتوابهم مع الصلاة فى المسجد البعيد كشوابهم فى المسجد القريب ، إلا أن تكون فى البعيد مزينة دينية كأن يكون إمام المسجد البعيد أروع من الإمام القريب أو أعلم منه أو أقرأ فيزيد ثوابهم ، أو تكون خطبته أو عظ من خطيب المسجد القريب أو يكون المسجد القريب مقاما على قبر والبعيد خال من القبر أو نحو ذلك فلمهم مزيد من الثواب بما تحملوا من المشقة فى الذهاب إلى البعيد ، وكذلك الذى يحج راكبا جملا لا يزيد ثوابه على راكب السيارة ، ومن حج ماشيا لا يزيد ثوابه على الراكب إلا أن يكون نذر الحج ماشيا ، فيزيد له ثواب النذر لأنه قربة لله تعالى لها ثواب ، وإنما يكون الثواب على قدر المشقة فيما كلفنا الله به ولم نكلف به أنفسنا فى غير النذر ، كشواب الصيام مع المشقة المحتملة أو مع المرض الذى لا يضره الصوم ولكن يتألم صاحبه منه أثناء الصيام وكالصوم فى السفر فقد أباح الله المريض والمسافر الفطر فاذا صام وتحمل فله ثواب أكثر من الصائم المقيم الصحيح ، لأن الله تعالى يقول : فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، ثم قال بعد ذلك : وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ، فبين أن الصيام مع تحمل المشقة أفضل فيجازى متحمل المشقة بما تحمل فى هذا .

منها غاية الامكان واطراح الاهتمام بها وعدم الاكتراث لما هو منها :
ثم هؤلاء قسيمان فعوامهم ظنوا أن هذا غاية فشمروا اليه وعملوا عليه
وقالوا هو أفضل من درجة العلم والعبادة ورأوا الزهد في الدنيا غاية
كل (١) عبادة ورأسها، وخواصهم رأوا هذا مقصودا لغيره وأن
المقصود به عكوف القلب على الله تعالى والاستغراق في محبته والانابة
اليه والتوكل عليه والاشتغال بمرضاته فرأوا أفضل العبادات دوام
ذكره بالقلب (٢) واللسان : ثم هؤلاء قسيمان فالعارفون إذا جاء الأمر
والنهي بادروا اليه ولو فرقههم وأذهب جمعهم، والمنحرفون منهم يقولون :
المقصود من القلب جمعيته فاذا جاء ما يفرقه عن الله لم يلتفتوا
اليه ويقولون :

يطالب بالأوراد من كان غافلا فكيف بقلب كل أوقاته ورد
ثم هؤلاء أيضاً قسيمان منهم من يترك الواجبات والفرائض لجمعيته :
ومنهم من يقوم بها ويترك السنن والنوافل ويعلم العلم النافع لجمعيته :
والحق أن الجمعية حظ القلب : وإجابة داعي الله حق الرب فمن أثر

(١) وهؤلاء لم يوفقوا ، لأنه يجب على العبد أن يأخذ نصيبه من الدنيا
الذي يجعله حيا عاملا في الحياة ولا يتركها جملة ، وقد قال تعالى لقارون
« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وعدم
أخذ العبد بنصيبه من الدنيا يفقده مزية الحياة ويصبح شخصا منعزلا عن
الناس ولا تستقيم الدنيا ولا تسير كما أراد الله إلا إذا أخذ كل فرد بنصيبه
منها ، وانحراف الناس عن ذلك تعطيل لارادة الله وبعد عن مرضاته .

(٢) مع أخذ نصيبهم من الدنيا

حق نفسه على حق ربه فليس من العبادة في شيء ، الصنف الثالث رأوا أن أفضل العبادات ما كان فيه نفع متعدد فرأوه أفضل من النفع القاصر ، فرأوا خدمة الفقراء والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم ومساعدتهم بالجاه والمال والنفع أفضل لقوله ﷺ : الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله ،^(١) قالوا وعمل العابد قاصر على نفسه وعمل النفع متعد إلى الغير فأين أحدهما من الآخر : ولهذا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب : وقد قال ﷺ لعلي : لأن يهدي الله بك رجلا واحد خير من حمر النعم ،^(٢) وقال : من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ،^(٣) وقال : إن الله وملائكته يصلون

(١) لا بد مع نفع الناس ومساعدتهم من القيام بالواجبات التي فرضها الله من الصلاة والصيام والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك فإذا ترك الشخص هذه الواجبات واشتغل بحاجب المصالح للخلق ، كان آثما فيما ترك فأفادنا أثرابه مستحقا للعقاب على الترك وقد لا يعادل ثواب نفع الناس عقاب ترك الواجبات فيكون فاعل ذلك مقصرا محسرا وهذا الحديث رواه الطبراني في معجمه .

(٢) رواه ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم وفضله عن سهل بن سعد الطبراني في المعجم الكبير عن أبي رافع بلفظه : لأن يهدي الله علي يدك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ،

(٣) هو في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام

على معلى الناس الخير ،^(١) وقال : إن العالم يستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى البحر والنملة فى جحرها ، قالوا وصاحب العبادة إذا مات انقطع عمله وصاحب النفع لا ينقطع عمله مادام نفعه^(٢) الذى تسبب فيه : والانباء عليهم الصلاة والسلام إنما بعثوا

من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا .

(١) الحديث رواه الترمذى عن أبى أمامة مطولا وقال حديث حسن صحيح : ورواه البزار من حديث عائشة مختصرا . قال معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان فى البحر ، وقد ورد فى مدح العلم والعلماء أحاديث كثيرة تبلغ حـد التواتر : والمراد بالعلم العلم النافع الذى تظهر آثاره بالمتصف به عملا وأيس المراد به علم أكثر أهل الزمان المجرد عن العمل به والاخلاص .

(٢) عدم انقطاع ثواب المتسبب فى النفع مقيد بالنفع المستمر بعد موت صاحبه بشرط أن يكون علما ينفع أو صدقة جارية أو سنة حسنة فى الدين ، والدليل على ذلك قول الرسول ﷺ : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ، وقوله ﷺ : من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ، وحديث مسلم الذى مر فى الصفحة السابقة ، أما النفع المنقطع كالصدقة فى حياة الميت فقط ، وكذلك من علم الناس خيرا دنيويا يستمر نفعه بعد موته كمن اخترع السيارة أو الطائرة اذا كان مسلما ، ومن اخترع آلة لقطع الخشب بسرعة أو آلة حاسبة أو نحو ذلك فلا يستمر ثوابه بعد موته بل ينقطع بمجرد الموت .

بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم ونفعهم في معاشهم ومعادهم لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع ولهذا أنكر النبي ﷺ على أولئك النفر الذين هموا بالانقطاع والتعبد وترك مخالطة الناس : ورأى هؤلاء أن التفرغ لنفع الخلق أفضل من الجمعية على الله بدون ذلك قالوا ومن ذلك العلم والتعليم ونحو هذه الأمور الفاضلة :

الصنف الرابع قالوا أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب سبحانه وتعالى وشغل كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته : فأفضل العبادات في وقت الجهاد الجهاد وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار بل من ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن : والأفضل في وقت حضور الضيف القيام بحقه والاشتغال به : والأفضل في وقت السحر الاشتغال بالصلاة والقرآن والذكر والدعاء : والأفضل في وقت الأذان ترك ما هو فيه من الأوراد والاشتغال بإجابة المؤذن : والأفضل في أوقات الصلوات الخمس الجد والاجتهاد في إيقاعها على أكمل الوجوه والمبادرة إليها في أول الوقت والخروج إلى المسجد وإن بعد : والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج المبادرة إلى مساعدته بالجاء والمال والبدن : والأفضل في السفر مساعدة المحتاج وإعانة الرفقة وإيثار ذلك على الأوراد والخلوة : والأفضل في وقت قراءة القرآن جمعية القلب والهمة على تدبره والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك : والأفضل في وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد في النضرع والدعاء والذكر : والأفضل في أيام عشر ذي الحجة الاكثار من التعبد لاسيما التكبير والنهليل

والتحميد وهو أفضل من الجهاد غير المتعين والأفضل في العشرة
الأواخر من رمضان لزوم المساجد والخلوة فيها مع الاعتكاف
والإعراض عن مخالطة الناس والاشتغال بهم حتى أنه أفضل من الإقبال
على تعليمهم العلم وإقراءهم القرآن عند كثير من العلماء : والأفضل في
وقت مرض أخيك المسلم أو موته عيادته وحضور جنازته وتشيعه
وتقديم ذلك على خلواتك وجميعتك : والأفضل في وقت نزول التوازل
وإيذاء الناس لك أداء واجب الصبر مع خلطتك لهم والمؤمن الذي
يخالط الناس ويصبر على أذاهم أو إيذائهم أفضل من المؤمن الذي
لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم : وخلطتهم في الخير أفضل من عزلتهم
فيه وعزلتهم في الشر أفضل من خلطتهم فيه : فإن علم أنه إذا خالطهم
أزاله ^(١) وقلله فخلطتهم خير من اعتزالهم وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق
والأصناف التي قبلهم أهل التعبد المقيد فتي خرج أحدهم عن الفرع
الذي تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقص ونزل عن
عبادته فهو يعبد الله تعالى على وجه واحد وصاحب التعبد المطلق ليس
له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره بل غرضه تتبع مرضات الله
تعالى : إن رأيت العلماء رأيتهم ومعهم وكذلك في الذاكرين : والمتصدقين
وأرباب الجمع وعكوف القلب على الله فهذا هو الغذاء الجامع للساير
إلى الله في كل طريق والوافد عليه مع كل فريق : واستحضر هنا حديث
أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقول النبي ﷺ بحضوره : هل منكم
أحد أطعم اليوم مسكينا قال أبو بكر أنا قال هل منكم أحد أصبح

(١) قوله أزاله وقلله أي الشر المتقدم ذكره قبل :

اليوم صائماً قال أبو بكر أنا قال هل منكم أحد عاد اليوم مريضاً قال أبو بكر أنا قال هل منكم أحد اتبع اليوم جنازة قال أبو بكر أنا، (١) الحديث : هذا الحديث روى من طريق عبد الغنى بن أبي عقيل حدثنا نعيم ابن سالم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ جالساً في جماعة من أصحابه فقال من صام اليوم قال أبو بكر أنا قال من تصدق اليوم قال أبو بكر أنا قال من عاد اليوم مريضاً قال أبو بكر أنا قال من شهد اليوم جنازة قال أبو بكر أنا قال وجبت لك ، يعنى الجنة : ونعيم بن سالم وإن تكلّم فيه لم يكن تابعه سلمة ابن وردان وله أصل صحيح من حديث مالك عن محمد بن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة نودي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد نودي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان فقال

(١) الحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه وأورده الحافظ عبد العظيم المنذرى في كتابه الترغيب والترهيب وسكت عنه : ولفظه عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : من أصبح منكم اليوم صائماً فقال أبو بكر رضى الله عنه أنا فقال من أطعم منكم اليوم مسكيناً فقال أبو بكر أنا فقال من تبع منكم اليوم جنازة فقال أبو بكر أنا فقال من عاد منكم اليوم مريضاً فقال أبو بكر أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما اجتمعت هذه الحصال قط في رجل إلا دخل الجنة .

أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله ما على من يدعى من هذه الأبواب كلها من ضرورة فهل يدعى أحد من هذه الأبواب كلها قال نعم وأرجوا أن تكون منهم ، ^(١) هكذا رواه عن مالك موصولا مسندا عن يحيى بن يحيى ومعن بن عيسى وعبد الله بن المبارك : ورواه يحيى بن بكير وعبد الله بن يوسف عن مالك عن ابن شهاب عن حميد مرسلا : وليس هو عند القعنبي لا مرسلا ولا مسندا : ومعنى قوله : من أنفق زوجين ، يعنى شيئين من نوع واحد نحو درهمين ^(٢) أو دينارين أو فرسين أو قيصين : وكذلك من صلى ركعتين أو مشى في سبيل الله تعالى خطوتين أو صام يومين ونحو ذلك : وإنما أراد والله أعلم أقل التكرار وأقل وجوه المداومة على العمل من أعمال البر لأن الاثنين أقل الجمع فهذا ^(٣) كالغيث أين وقع نفعه سبحانه الله بلا خلق وصحب الخلق بلا نفس إذا كان مع الله عزل الخلاق من البين ^(٤) وتخلي عنهم وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط ^(٥) وتخلي عنها فما أغربه بين الناس

(١) خرجه البخارى في صحيحه في غير موضع : ومسلم والنسائي والترمذى

(٢) ورد في بعض روايات البخارى مفسرا هكذا : من أنفق زوجين في سبيل الله درهمين شاتين .

(٣) اسم الإشارة راجع إلى الصنف الرابع العامل في كل وقت بالأفضل في ذلك الوقت .

(٤) أى عزل الخلاق وأبعدهم من الوجود بينه وبين الله .

(٥) أى أخرج نفسه من وسط الخلق ولم يفكر فيها وإنما يفكر في مصالح الناس وجلب النفع ومشاركتهم في سرائرهم وضرائرهم وتخفيف مصائبهم لأنه يرى في ذلك استمرارا لاتصاله بربه ، فهو دائما مع الله يوجد مع الناس بجسمه

وما أشد وحشته منهم وما أعظم أنسه بالله وفرحه به وطمأنينته
وسكونه اليه :

واعلم أن للناس في منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرقاً أربعة
وهم في ذلك أربعة أصناف ، الصنف الأول نفاة ^(١) الحكم والتعليل
الذين يردون الأمر إلى نفس المشيئة وصرّف الإرادة فهو لاه عندهم
القيام بها ليس إلا لمجرد الأمر من غير أن يكون سبباً لسعادة في معاش
ولا معاد ولا سبباً لنجاة وإنما القيام بها لمجرد الأمر ومحض المشيئة
كما قالوا في الخلق لم يخلق لغاية ولا لعلة هي المقصودة به ولا لحكمة
تعود إليه منه وليس في المخلوق أسباب تكون مقتضيات لمسيباتها
وليس في النار سبب للإحراق ولا في الماء قوة الإغراق ولا التبريد :
وهكذا الأمر عندهم سواء لا فرق بين الخلق والأمر ولا فرق في نفس
الأمر بين المأمور والمحذور ولكن المشيئة اقتضت أمره بهذا ونهيه
عن هذا من غير أن يقوم بالمأمور صفة تقتضى حسنه ولا بالمنهى
عنه صفة تقتضى قبحه ^(٢) . ولهذا الأصل لوازم فاسدة وفروع كثيرة

ومع ربه بقلبه ، فهو موجود كغير الموجود غريب بين بنى جنسه مستوحش
منهم ، معروف عند الله مؤتلف بمناجاته بالقلب وبالعمل الصالح .

(١) نفاة جمع ناف كقضاة جمع قاض . أى الذين ينفون عن أمر الله
لعباده بالطاعة ونهيه لإيأامه عن المعصية الحكيمة والسبب ويفعلون ما أمر
ويقتنون عما نهى لمجرد الأمر والنهى :

(٢) لا بد أن يعتقد المؤمن الحكمة في أوامر الله ونواهيه ، فيعتقد أنه
لا يأمر بالعمل إلا لحكمة دينوية أو أخروية ، ولا ينهى عنه إلا لحكمة

وهؤلاء غالبيتهم لا يجدون حلاوة العبادة ولا لذتها ولا يتنعمون بها ولهذا يسمون الصلاة والصيام والزكاة والحج والتوحيد والإخلاص ونحو ذلك تكاليف أى كلفوا بها ولو سمي مدعى محبة ملك الملوك أو غيره ما يأمره به تكليفا لم يعد محبالة ، وأول من صدرت عنه هذه المقالة الجعد بن درهم .

الصنف الثاني القدريّة (١) النفاة الذين يثبتون نوعا من الحكمة

دنيوية أو أخروية أو دنيوية وأخروية معا ، وإن كانت حكمة بعض الأوامر والنواهي تخفى علينا لقصر عقولنا عن إدراكها ، ولسنا مكلفين بالوصول الى حكمة كل أمر ونهي ، ولكننا مكلفون باعتقاد الحكمة في أمر الله ونهيه ، ولو خلت أفعال الله عن الحكمة لكانت عبثا والله تعالى منزّه عن العبث .

(١) اعلم أن أول بدعة ظهرت في الاسلام هي بدعة التشيع للإمام على كرم الله وجهه وأنه أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان . وبدعة الخوارج ، وهي عدم اعترافهم بأحد الخليفةين على ومعاوية والخروج عن طاعتها ووجوب قتلها . وبدعة القدر ، وهي خلق العبد لأفعاله كلها أو بعضها وأنه يستحق الثواب بعمله الطاعة ويستحق العقاب بعمل المعصية ولا فضل لله في ذلك بل يجب عليه ، وبدعة الأرجاء ، وهي أن الناس مرجئون الى مشيئة الله إن شاء عفا عنهم وإن شاء عذبهم . وأول من تكلم في القدر معبد الجهمي وهذه البدع ظهرت في القرن الثاني والصحابة موجودون : وقد أنكروا على أهلها : ثم ظهرت بدعة الاعتزال ولم يزل المسلمون على النهج الأول ولزوم ظاهر السنة وما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم الى أن حدثت الفتن بين المسلمين والبنى على أئمة الدين وظهر اختلاف الآراء والميل الى البدع

والتعليل لا يقوم بالرب ولا يرجع اليه بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته فعندهم أن العبادات شرعت أثمانا لما يناله العباد من الثواب والنعيم : وأنها بمنزلة استيفاء الأجير أجره قالوا ولهذا يجعلها سبحانه وتعالى عوضا كقوله (وَنُودُوا أَنْ تَالِكُمُ الْجَنَّةُ الَّتِي دُخِلْتُمْ فِيهَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ^(٢)) (هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا

والآهواء وكثرت المسائل والواقعات والرجوع الى العلماء في المهمات : فاشتغلوا بالنظر والاستدلال والاستنباط والنتائج وتمهيد القواعد : وإنتاج القضايا والفوائد : وأخذوا في التبويب والتفصيل والترتيب والتأصيل : فأسست فرقة المعتزلة قواعد الخلاف : ونهجت منهج الفرقة والانحراف وكان أول من اعتزل عن مجلس سيد التابعين الحسن البصري وأصل بن عطاء رئيس الطائفة المعتزلة : ومذهب السلف هو المذهب المنصور والحق الثابت المأثور : وأهله هم الفرقة الناجية والطائفة المرحومة التي هي بكل خير فائزة وبكل مكرومة راجية من الشفاعة والورود على الخروض ورؤية الحق وغير ذلك : فذهب السلف حق بين باطلين : وهدى بين ضالين : قال العلامة ابن تيمية : مذهب السلف أنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غير تحريف ولا تعطيل : ومن غير تكليف ولا تمثيل . فالمعطل يعبد عدما : والممثل يعبد صنما : والمسلم يعبد رب الأرض والسماء .

(٢) هذه الآية في سورة الأعراف وورد في سورة الزخرف أيضا آية أخرى مثلها وهي : وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون ، وسيدكرها المؤلف بعد ذلك

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) وفي الصحيح : إنما هي أعمالكم أحصيتها عليكم ثم أوفيتكم إياها ، قالوا وقد سماها جزاءً وأجرًا وثوابًا لأنه شيء يثوب إلى العامل من عمله أي يرجع إليه : قالوا ويدل عليه الموازنة فلو لا تعلق الثواب بالأعمال عوضاً عليها لم يكن للموازنة معنى : وهاتان الطائفتان متقابلتان : فالجبرية لم تجعل للأعمال ارتباطاً بالجزاء ألينة وجوزت أن يعذب الله من أفنى عمره في الطاعة وينعم من أفنى عمره في مخالفته وكلاهما سواء بالنسبة إليه والكل راجع إلى محض المشيئة ، والقدرية أوجبت عليه سبحانه وتعالى رعاية المصالح وجعلت ذلك كله بمحض الأعمال وأن وصول الثواب إلى العبد بدون عمله فيه تنقيص باحتمال منه الصدقة عليه بلائمن فجعلوا تفضله سبحانه وتعالى على عبده بمنزلة صدقة العبد على العبد وإعطائه ما يعطيه أجرة على عمله أحب إلى العبد من أن يعطيه فضلاً منه بلا عمل ولم يجعلوا للأعمال تأثيراً في الجزاء ألينة والطائفتان منحرفتان عن الصراط المستقيم وهو أن الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب : والأعمال الصالحات من توفيق الله وفضله وليست قدراً لجزائه وثوابه بل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه أن تكون شكراً على أحد الأجزاء القليلة من نعمه سبحانه وتعالى فلو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم : وتأمل قوله تعالى (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) مع قوله ﷺ : لن يدخل أحد

منكم الجنة بعمله ،^(١) تجدد الآية تدل على أن الجنان بالاعمال والحديث ينفي دخول الجنة بالاعمال ولا تنافي بينهما لأن توارد النفي والاثبات ليس على محل واحد فالمنفي بآية الثمنية^(٢) واستحقاق الجنة بمجرد الاعمال ، رداً على القدرية المجوسية التي زعمت أن الفضل بالثواب ابتداء متضمن لتكدير المنة . والباء المثبتة التي وردت في القرآن هي باء السببية^(٣) رداً على القدرية

(١) الحديث في الصحيحين . ولفظ البخاري عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ان يدخل أحدكم عمله الجنة ، قالوا ولا أنت يا رسول الله ، قال : ولا أنا الا أن يتغمدني الله بفضله ورحمة ، فسددوا ولا يتمنن أحدكم الموت اما محسناً فلعله أن يزداد خيراً واما مسيئاً فلعله أن يستتيب ، فذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب بل ثبوتهما بالشريعة حتى لو عذب الله تعالى جميع المؤمنين كان عدلاً منه ولكنه أخبر بأنه لا يفعل بل يغفر المؤمنين ويعذب الكافرين . وقد روى أبو داود وابن ماجه من حديث أبي بن كعب في ذكر القدر (وفيه) : لو أن الله عذب أهل سمواته وأرضه لعذب بهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم ، الحديث . والله أعلم

(٢) أي الباء التي تجعل ما بعدها ثمناً لما قبلها ، فقوله ﷺ : ان يدخل أحد منكم الجنة بعمله ، معناه لا يدخل أحد منكم الجنة وتكون الجنة ثمناً لعمله وأجراً بحيث يجب دفع الثمن اذا عمل العمل

(٣) المراد بباء السببية في القرآن الباء التي تجعل ما بعدها سبباً لما قبلها كالباء في قوله تعالى : ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ، وقوله تعالى : وذلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون ، المعنى أن العمل سبب الجنة والله تعالى هو الذي تفضل بإعطاء المسبب وهو الجزاء وهو الذي وفق العاملين

الجبرية الذين يقولون لا ارتباط بين الأعمال وجزائها ولا هي أسباب لها وإنما غايتها أن تكون أمانة (١) :

والسنة النبوية هي أن عموم مشيئة الله وقدرته لا تنافي ربط الأسباب بالمسببات وارتباطها بها : وكل طائفة من أهل الباطل تركت نوعا من الحق فانها ارتكبت لأجله نوعا من الباطل بل أنواعا ، فهدى الله أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه :

الصنف الثالث الذين زعموا أن فائدة العبادة رياضة النفوس واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها وخروج قواها من قوى النفس السَّبَّعية والبهيمية فلو عطلت العبادة لالتحقت بنفوس السباع والبهائم فالعبادة تخرجها إلى مشابهة العقول فتصير قابلة لانتقاش صور المعارف فيها : وهذا يقوله طائفتان : إحداهما من يقرب إلى الإسلام والشرائع من الفلاسفة القائلين بقدم العالم وعدم الفاعل المختار : والطائفة الثانية من تفلسف من صوفية الإسلام ويقرب إلى الفلاسفة فانهم يزعمون أن العبادات رياضات لاستعداد النفوس للمعارف العقلية ومخالفة العوائد . ثم من هؤلاء من لا يوجب العبادة إلا بهذا المعنى فاذا حصل لها ذلك بقي متجيرا في لفظ أوراده والاشتغال بالوارد منها : ومنهم من يوجب القيام بالأوراد وعدم الإخلال بها ، وهم صنفان

للسبب وإن كان لله حق عدم الجزاء على العمل والمكنه لا يفعل .

(١) أى علامة على ما أراده الله من الجزاء لفاعل الخير وليس سببا في الجزاء .

أيضاً : أحدهما من يقول بوجوبها حفظاً للقانون وضبطاً للناموس^(١) :
والآخرون بوجوبها حفظاً للوارد وخوفاً من تدرج النفس بمفارقة
إلى حالها الأولى من البهيمية : فهذه نهاية أقدامهم في حكمة العبادة وما شرعت
لأجله ولا تسكاد تجد في كتب المتكلمين على طريق السلوك غير طريق
من هذه الطرق الثلاث أو مجموعها :

والصنف الرابع هم القائلون بالجمع بين الخلق والأمر والقدر
والسبب فعندهم أن سر العبادة وغايتها مبنى على معرفة حقيقة الإلهية
ومعنى كونه سبحانه وتعالى إلهاً أن العبادة موجب الإلهية وأثرها
ومقتضاها وارتباطها كارتباط متعلق بالصفات بالصفات وكارتباط
المعلوم بالعلم والمقدور بالقدرة : والاصوات بالسمع : والاحسان
بالرحمة : والإعطاء بالجود : فعندهم من قام بمعرفتها على نحو الذى
فسرناها به لغة وشرعاً مصدراً ومورداً استقام له معرفة حكمة
العبادات وغايتها به وعلم أنها هى الغاية التى خلقت لها العباد ولها أرسلت
الرسول وأنزلت الكتب وخلقت الجنة والنار : وقد صرح سبحانه
وتعالى بذلك فى قوله (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)
فالعبادة هى التى ما وجدت الخلائق كلها إلا لأجلها كما قال تعالى
(اَتَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) أى مهملاً^(٢) : قال الشافعى رحمه

(١) أى للسنة الإلهية التى يجرى عليها الكون

(٢) أى لا يكلف بواجبات ولا ينهى عن محظورات فيكون
كالحيوان الأعجم الذى لم يكلف بشئ :

الله لا يؤمر ولا ينهى : وقال غيره لا يثاب ولا يعاقب ، وهما تفسيران صحيحان فان الثواب والعقاب مترتبان على الامر والنهى والامر والنهى هو طلب العبادة وإرادتها . وحقيقة العبادة امتثالها : ولهذا قال تعالى (وَيَتَفَكَّرُونَ^(١)) فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا) وقال تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ) (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) فآخبر الله تعالى أنه خلق السموات والارض بالحق المتضمن أمره ونهيه وثوابه وعقابه : فاذا كانت السموات والارض إنما خلقتا لهذا وهو غاية الخلق فكيف يقال إنه لا غاية له ولا حكمة مقصودة أو إن ذلك بمجرد استئجار العمال حتى لا يتكدر عليهم الثواب بالمئة أو بمجرد استعداد النفوس للمعارف العقائدية وارتياضها لمخالفة العوائد :

وإذا تأمل اللبيب الفرق بين هذه الأقوال وبين ما دل عليه صريح الوحي علم أن الله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لسكالمحبته مع الخضوع له والانقياد لأمره . فأصل العبادة محبة الله بل إفراده تعالى بالمحبة فلا يحب معه سواه وإنما يحب ما يحبه لأجله وفيه كما يحب أنبياءه

(١) وردت هذه الآية في سورة آل عمران في وصف أولى الالباب أى أصحاب العقول الذين يعرفون الله حق معرفته ويتفكرون في خلقه قال تعالى : ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقنا هذا باطلا سبحانه فكنا عذاب النار

ورسوله وملائكته لأن محبتهم من تمام محبته وليست كمحبة من اتخذ من
دونه أنداد يحبهم كحبه : وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها
فهى إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه فعند اتباع الأمر والنهى
تبين حقيقة العبودية والمحبة : ولهذا جعل سبحانه وتعالى اتباع رسوله
ﷺ علما (١) عليها وشاهدا لها كما قال تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ
اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) فجعل اتباع رسوله مشروطاً بمحبتهم لله
تعالى وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط بدون تحقق شرطه ممتنع :
فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة للرسول : ولا يكفى ذلك حتى يكون
الله ورسوله أحب إليه مما سواهما : ومتى كان عنده شيء أحب إليه منهما
فهو الإشرak الذى لا يغفره الله : قال تعالى (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ
وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا
وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ
لَا يَهْدَى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) وكل من قدم قول غير الله على قول الله
أو حكم به أو حاكم إليه فليس من أحبه : لكن قد يشتبه الأمر على من
يقدم قول أحد أو حكمه أو طاعته على قوله ظاناً منه أنه لا يأمر ولا
يحكم ولا يقول إلا ما قال الرسول ﷺ فيطيعه ويحكم إليه ويتلقى أقواله
كذلك فهذا معذور إذا لم يقدر على غير ذلك :

وأما إذا قدر على الوصول إلى الرسول ﷺ وعرف أن غير
من اتبعه أولى به مطلقاً أو في بعض الأمور كمسئلة معينة ولم يلتفت
إلى قول الرسول ﷺ ولا إلى من هو أولى به فهذا يخاف عليه : وكل
ما يتعامل به من عدم العلم أو عدم الفهم أو عدم إعطاء آلة الفقه في الدين
أو الاحتجاج بالاشباه والنظائر أو بأن ذلك المتقدم كان أعلم مني بمراده
ﷺ فهذه كلها تعللات لا تفيد :

هذا مع الإقرار بجواز الخطأ على غير المعصوم إلا أن ينازع في
هذه القاعدة فتسقط مكالمته وهذا هو داخل تحت الوعيد فإن استحل
مع ذلك ثاب (١) من خالفه وقرض (٢) عرضه ودينه بلسانه وانتقل
من هذا إلى عقوبته أو السعي في أذاه فهو من الظلمة المعتدين
ونواب المفسدين .

واعلم أن العبادة أربع قواعد وهي التحقيق بما يحب الله ورسوله
ويرضاه وقيام ذلك بالقلب واللسان والجوارح فالعبودية اسم جامع
لهذه المراتب الأربع : فاصحاب العبادة حقاً هم أصحابها ، فنقول القلب
هو اعتقاد ما أخبر الله تعالى عن نفسه وأخبر رسوله عن ربه من أسمائه
وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه وما أشبه ذلك ، وقول اللسان
الإخبار عنه بذلك والدعاء اليه والذب (٣) عنه وتبيين بطلان البدع

(١) أي ذمّه

(٢) أي التكلم في عرضه ودينه بما يمزقه كما يمزق القارض المقرض

(٣) أي الدفاع عنه

المخالفة له والقيام بذكره تعالى وتبليغ أمره : وعمل القلب كاللحبة له والتوكل عليه والإجابة والخوف والرجاء والإخلاص والصبر على أوامره ونواهيه وإقراره والرضا به وله وعنه والمواالة فيه والمعاداة فيه والإخبات إليه والطمانينة ونحو ذلك من أعمال القلوب التي فرضها أكد من فرض أعمال الجوارح ومستحبها إلى الله تعالى أحب من مستحب أعمال الجوارح : وأما أعمال الجوارح فكالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك : فقول العبد في صلواته (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) التزام أحكام هذه الأربعة وإقرار بها : وقوله (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) طلب الإعانة عليها والتوفيق لها : وقوله (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) متضمن للأمرين على التفصيل وإلهام القيام بهما وسلوك طريق السالكين إلى الله تعالى والله الموفق بمنه وكرمه والحمد لله وحده وصلى الله على من لاني بعده وعلى آله وصحبه ووارثيه وحزبه .

تم الكتاب والحمد لله أولا وآخرا

(فائدة)

قد تقدم المؤلف المقرئ في حلق الرأس وأجمل القول في ذلك ولما كان الحكم في ذاته فيه تفصيل أحببنا أن نذكر هنا ما أورده الحافظ العلامة شمس الدين ابن القيم في كتابه زاد المعاد في هدى خير العباد : قال في كتاب الطب من الجزء الثاني في علاج القمل الذي في الرأس وإزالته . وحلق الرأس ثلاثة أنواع أحدها نسك وقربة والثاني بدعة وشرك والثالث حاجة ودواء فالأول الحلق في أحد النسكين الحج والعمرة ، والثاني حلق الرأس لغير الله سبحانه وتعالى كما يخلقها المریدون أشيوخهم فيقول أحدهم أنا حلقت رأسي لفلان وأنت حلقت لفلان وهذا بمنزلة أن يقول سجدت لفلان فان حلق الرأس خضوع وعبودية وذل ولهذا كان من تمام الحج حتى إنه عند الشافعي رحمه الله تعالى ركن من أركانه لا يتم إلا به فإن وضع النواصي بين يدي ربه - خضوع لعظمته وتذلل لعزته وهو من أبلغ أنواع العبودية : ولهذا كانت العرب إذا أرادت إذلال الأسير منهم وعققه حلقوا رأسه وأطلقوه : فجاء شيوخ الضلال والمزاحمون للربوبية الذين أساس مشيختهم على الشرك والبدعة فارادوا من مریدیهم أن يتعبدوا لهم فزینوا لهم حلق رؤوسهم لهم كما زینوا لهم السجود لهم وسموه بغير اسمه وقالوا هو وضع الرأس بين يدي الشيخ : ولعمري الله إن السجود لله هو وضع الرأس بين يديه سبحانه وتعالى وزینوا لهم أن يندروا لهم ويتوبوا لهم ويحلفوا بأسمائهم :

وهذا هو اتخاذهم أرباباً من دون الله تعالى (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ
يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاءَ بَيْنَكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابُ وَبِمَا
كُنْتُمْ تُدْرِسُونَ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا
أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) وأشرف العبودية عبودية
الصلاة وقد تقاسمها الشيوخ والمتشبهون بالعلماء والجبابرة فأخذ الشيوخ
منها أشرف ما فيها وهو السجود : وأخذ المتشبهون بالعلماء الركوع
فاذا لقي بعضهم بعضاً ركع له كما يركع المصلي لربه سواء وأخذ الجبابرة
منهم القيام فيقوم الأحرار والعبيد على رؤسهم عبودية لهم وهم جلوس ،
وقد نهى رسول الله ﷺ عن هذه الأمور الثلاثة على التفصيل فتعاطيها
مخالفة صريحة له . فنهى عن السجود لغير الله وقال : لا ينبغي لأحد أن
يسجد لأحد ، وأنكر على معاذ لما سجد له وقال : مه (١) ، ونهى عن
هذا معلوم من دينه ضرورة ، وتجويز من جوزه لغير الله مراعاة لله
ورسوله وهو من أبلغ أنواع العبودية فاذا جوز هذا المشرک هذا
النوع اليسير فقد جوز عبودية غير الله : وقد صرح أنه قيل له : أليس يلقى
أخاه أينحني له قال لا قال أيلزمه ويقبله قال لا قيل أيضاً قال نعم ،
وأيضاً قال لا انحناه عند التحية مسجود ، ومنه قوله تعالى (وَأَدْخُلُوا
الْبَابَ مُسَجِدًا) أي منحنين وإلا فلا يمكن الدخول على الجبابرة ،

(١) كلمة زجر بمعنى لا تفعل

وصح عنه النهي عن القيام وهو جالس كما يعظم الأعاجم بعضها بعضاً^(١) حتى منع ذلك في الصلاة وأمرهم إذا صلى جالساً أن يصلوا جلوساً وهم أصحاب الأعذار لهم إثم لا يقوموا على رأسه وهو جالس^(٢) مع أن قيامهم لله فكيف إذا كان القيام تعظيماً وعبودية لغيره سبحانه وتعالى :

والمقصود أن النفوس الجاهلة الضالة أسقطت عبودية الله سبحانه وتعالى وأشركت فيها من تعظمه من الخلق فسجدت لغير الله وركعت له وقامت بين يديه قيام الصلاة وحلفت بغيره ونذرت لغيره وحلفت لغيره وذبحت لغيره وطافت بغير بيته وعظمته بالحب والخوف والرجاء والطاعة كما يعظم الخالق بل أشد وسوءت من تعبدته من المخلوقين برب العالمين .

هؤلاء هم المضادون لدعوة الرسل وهم الذين برهم يعدلون وهم

(١) الحديث رواه أبو داود وابن ماجه : قال الحافظ عبد العظيم المنذرى واسناده حسن أبو غالب فيه واسمه حذور ويقال نافع ويقال سعيد ابن الحذور فيه كلام طويل ، والغالب عليه التوثيق وقد صحح له الترمذى وغيره : اه : ورواه أيضا الترمذى فى الشمائل : وفى مشروعية القيام للناس خلاف والصحيح التفصيل والجمع بين الأحاديث . وقد ألف الامام النووى فى ذلك رسالة وذكرها صاحب المدخل فى كتابه وتعقبه فى كثير منها ورد كلامه فى جواز القيام فعليك بمطالعة فانه يغنيك :

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث أبى الزبير عن جابر د أنهم لما صلوا خلفه قعوداً قال فلما سلم قال ان كدتم انفا تفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا ،

الذين يقولون وهم في النار مع آلهتهم يختصمون (تَاللّٰهِ اِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ اِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) وهم الذين قال فيهم (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اُنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّٰهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا اَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ) وهذا كله من الشرك والله لا يغفر أن يشرك به . والله أعلم .

(تنبيه)

سقط في صفحة ٤٨ في التعليق رقم ٢ بعد كلمة سعد ، ورواه ، فيكون نظم الكلام هكذا ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ،

فهرس تجريد التوحيد

صفحة	
٢	مقدمة المؤلف
٤	مقدمة المؤلف
٥	معنى قوله تعالى رب العالمين
٦	التوحيد له قشران
٧	لباب التوحيد
٨	الله هو الاسم الجامع لجميع معاني الاسماء الحسنی
٩	معنى قوله تعالى د ملك الناس إله الناس ،
١٠	سحر النبي ﷺ والخلاف في جواز وقوعه
١٢	سر كون المعوذتين إحدى عشرة آية
١٣	حقيقة قول القدرية المجوسية
١٤	شرك الأسم كله نوعان
١٥	التسوية بين الله وغيره في الحب شرك
١٦	مذهب المجوس والفلاسفة المعطلين
١٧	القدرية مجوس هذه الأمة
١٨	لعن رسول الله ﷺ من اتخذ القبور مساجد
١٩	د د د زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج
٢٠	زيارة القبور على ثلاثة أقسام
٢١	الحلف بغير الله شرك
٢٣	الشرك في الارادات والنيات
٢٤	إن الله لا يغفر أن يشرك به

صفحة	
٢٥	التعطيل أصل الشرك
٢٦	أنواع الشرك
٢٧	الكمال المطلق من خصائص الالهية
٢٨	الشرك بالفتنة بالله
٢٩	حرمة التصوير وأن المصورين من أشد الناس عذاباً يوم القيامة
٣٠	حكم من يتسمى ملك الملوك وحاكم الحكام الخ
٣١	حكم من ظن أن الله لا يجيبه إلا بواسطة
٣٢	من اتخذ الله واسطة فقد ظن به ظن السوء
٣٣	أصل الضلال راجع إلى شيئين
٣٤	من لم يقدروا الله حق قدره
٣٦	كل من عبد مع الله غيره عبد شيطاناً
٣٧	الناس في عبادة الله والاستعانة به أقسام
٣٨	من سأل الله العون على غير الطاعات يبعد عن مرضاة الله
٣٩	قلة الرزق ليست لحوان العبد على ربه وكثرته ليست لكرامته عليه
٤٠	من له نوع عبادة بلا استعانة
٤١	حقيقة الاستعانة بالله عملاً
٤٢	متابعة الرسول وإخلاص العبودية أصل عبادة الله
٤٣	من لا إخلاص له ولا متابعة
٤٤	من يتبع ويعمل ولكن عمله لغير الله
٤٥	أهل مقام : إياك نعبد ، لهم في أفضل العبادات أربع طرق
٤٦	بيان فساد قول العوام : الثواب على قدر المشقة ،
٤٧	من يرى أن أفضل العبادات دوام ذكر الله بالقلب

صفحة	
٤٨	من يرى أن أفضل العبادات نفع الناس
٤٩	متى يبقى ثواب العبادة بعد الموت ومتى ينقطع
٥٠	من يرى أن أفضل العبادات شغل كل وقت بما هو مقتضاه
٥٣	ثواب من أنفق زوجين في سبيل الله
٥٤	الناس في حكمة العبادة ومنفعتهم طرق أربع
٥٥	القدريّة الذين يثبتون نوعاً من الحكمة لا يرجع إلى الرب
٥٧	القدريّة أوجبت على الله رعاية المصالح
٥٨	الأعمال أسباب للجنة لا أثمان لها
٥٩	الذين زعموا أن حكمة العبادة رياضة النفوس
٦٠	العبادة موجب الإلهية ومقتضاها
٦١	أصل العبادة محبة الله بل إفراده بالمحبة
٦٢	إخلاص العبادة أن يكون الله ورسوله أحب مما سواهما
٦٣	العبادة أربع قواعد
٦٤	فائدة : في حكم خلق الرأس لله ولغيره
٦٨	تنبيه

(تم الفهرس)

المطبعة المنيرية :

تحرص على تقديم غذاء الأرواح للمسلمين فتجني كتب السنة بطبعها طبعاً جديداً مع تصحيح أصولها ، والتعليق عليها تعليقاً يبين مزاياها ويشرح غوامضها ، ويقربها إلى الأفهام ، ويجعلها في متناول كل الناس لرخص أسعارها وبذل الجهد في حصول كل راغب عليها . وهي إلى ذلك تحرص أيضاً على طبع الكتب الأدبية المفيدة التي تنفع الناشئين وتجعلهم في مستوى أدبي رفيع ، ويستطيع القارىء أن يحصل على الكتب الآتية من المطبعة المنيرية بشارع الشيخ محمد عبده درب الأتراك رقم ١ بحوار الجامع الأزهر إدارة محمد أبوطالب شاهين : —

الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن قيم الجوزية
لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسي
تجريد التوحيد المفيد للإمام تقي الدين المقرئ
قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة للإمام أحمد بن تيمية
خولة الشعراء الأصمى يطبع — لأول مرة
رائد الشعر الحديث الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي
مذاهب الأدب
بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي — ٩ أجزاء